الفصل الثالث

التنظيم العسكري

عناصر الجيش

لم يكن هناك في عهد الرسول ثمة فاصل بين مجتمع وجيش إذ أن الجماعة الإسلامية في المدينة بكاملها كانت تعتبر جماعة محاربة يتوجب على أفرادها المشاركة في الجهاد بشكل أو بآخر، وإن كان الرسول حريصا على أن لا يخرج معه إلا الراغب في الجهاد[1]، ثم سارت الأمور نحو وجود هذا التمايز بقدر ما كان الإسلام يتقدم وينتشر بين القبائل[2]، إذ أصبح هنالك مسلم مجاهد، وآخر غير ذلك دعي بالاعرابي[3]. واستمر هذا التمايز وتضخم مع الزمن، ففي خلافة أبي بكر وأثناء الردة عمد إلى التكليف، فكلف من بقي على الإسلام والطاعة بمواجهة المرتدين من قومه، كما كلف أمراء بعض المناطق بضرب البعث على من لم يلحق طوعا في الجهاد، فأمر عثمان بن أبي

---

(١) ابن مسعد، الطبقات، ج ٢ ص ٢٧. الطبري، ج ٣ ص ١٠٧.

(٢) د. أحمد بدر، التنظيم العسكري عند العرب: مجلة «دراسات تاريخية»، العدد الرابع، نيسان ١٩٨١، ص ١١٨.

(٣) ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٥٧ هـ/١٩٢٨م، ج ١، ص ٣٧٤. يذكر ابن رشد أنه ثبت أنه عليه السلام كان إذا بعث سرية قال لأميرها، إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث أو خلال... أدعهم إلى الإسلام فان أجابوك فاقبل وكفّ عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، واعلمهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فان أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين....

العاص أن يضرب بعثا على الطائف على كل مخلاف بقدره، فضرب على كل مخلاف عشرين رجلا[٤]، وكتب إلى عتاب بن أُسيد أن يضرب على أهل مكة وعملها خمسمائة مقو[٥]، وعندما بدأت الفتوحات في عهد أبي بكر رفض الاستعانة بأحد من أهل الردة[٦]. فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب لم يشأ أن تظل هذه القوى معطلة، فأذن لهم عمر أن يشاركوا في الحرب ولكن كجنود في بادىء الأمر، يذكر الطبري أن عمر ندب أهل الردة فأقبلوا سراعا من كل أوب فرمى بهم الشام والعراق[٧]، أشركهم عمر في الجهاد ولكنه لم يطمعهم في الرياسة كما يقول الشعبي[٨]، وإنما يحد سلطا بهم دون المائة[٩]. وقد اضطر عمر ازاء تردد العرب في الالتحاق بالجبهة الفارسية أن يعمد إلى وضع أسس القاعدة الجديدة للتجنيد حين نص على الالتزام إلى جانب التطوع، فكتب إلى عماله على الأقاليم «ولا تدعوا في ربيعة ولا مضر ولا حلفائهما أحدا من أهل النجدة، ولا فارسا إلا جلبتموه، فإن جاء طائعا وإلا حشرتموه[١٠]». كما كتب لبعض قواده: «لا تدعوا أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى إلا انتخبتموه ثم وجهتموه الي والعجل العجل[١١]». وقد اقتضت تلك القاعدة تنظيماً جديداً لضبط نشاطها، فكان أن أوجد عمر الديوان الذي كانت مهمته كما يقول ابن خلدون «احصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم[١٢]».

هذا ويمكن اعتبار وضع الديوان الخطوة الأساسية في تنظيم المقاتلة، لأن المسلم ما دام قد ضمن عطاءه وعطاء أهله، فقد لزمه الجهاد إذا دعي واستوفى شروطه، كما أن عمر أوضح منذ البدء أن العطاء هو لأهل الفيء الذين أفاء الله عليهم، وهم أهل

(٤) الطبري، ج ٣ ص ٣٢٢.
(٥) المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٢٢.
(٦) المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٢٧، ٣٤١، ج ٤ ص ٢٥.
(٧) الطبري، ج ٣، ص ٤٤٨.
(٨) المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٥.
(٩) المصدر السابق، ج ٣ ص ٥٥٧.
(١٠) المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٧٨.
(١١) المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٧٩.
(١٢) ابن خلدون، المقدمة، ج ١ ص ٢٠٢.

المدائن فصاروا بعد إلى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والأردن وفلسطين ومصر[١٣]، وقال: «الفيء لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم وأقام معهم، ولم يفرض لغيرهم، ألا فيهم سكنت المدائن والقرى وعليهم جرى الصلح وإليهم أدى الجزاء وبهم سدّت الفروج ودوّخ العدو[١٤]». وإذا علمنا أن عمر وجه أوامره إلى أمراء الأجناد أن يتقدموا إلى الرعية أن عطاءهم قائم وأن رزق عيالهم سائل فلا يزرعون ولا يزارعون[١٥]، وأن الرجل إذا أخلّ بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر وعثمان كانت تنزع عمامته ويقام للناس ويشهر أمره[١٦]، أمكننا القول بوجود جيش ثابت مهمته الجهاد ابتداء من عهد الخلفاء الراشدين، ويرى البعض وجود تناقض في النصوص الواردة في هذا الموضوع فمرة نرى الخليفة يبيح الزراعة للجند وأخرى نراه ينهاهم عنها ويعاقب من يشتغل بها، وما ذلك إلا لأنه كان يحرمها على الجند النظامي ويبيحها للمتطوعين الذين يلتحقون بالجيش من البوادي والأمصار والبلاد المفتوحة، فهؤلاء كانوا يجنّدون وقت الحرب ويسرّحون وقت السلم وحظهم من الجهاد أسهمهم من الغنيمة فقط، ولا يمنعهم الخليفة من الزراعة.

ومن تتبعنا لجيوش الفتح والامدادات التي تتالت، يتبين لنا أن هذه الجيوش في الشام كانت تتألف بالدرجة الأولى من القبائل العربية ولاسيما اليمانية منها، بذكر ابن الأعثم أن الأزد في معركة اليرموك كانت في ذلك اليوم في القلب، وحمير وهمدان ومذحج وخولان وخثعم وكنانة وقضاعة ولخم وجذام وحضرموت ميمنة وميسرة، ولم يكن فيهم تميم ولا ربيعة لأنهم كانوا في العراق مع سعد بن أبي وقاص[١٧]. ونلاحظ منذ البدء استنادا إلى ماورد عند ابن سعد والطبري اشتراك العجم الذين دخلوا في الإسلام مع العرب[١٨] وانضمت جماعات من الروم التي رغبت في الإسلام إثر معركة اليرموك وبعد

---

(١٣) الطبري، ج ٣، ص ٦١٩، ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص ١٠٧.

(١٤) الطبري، ج ٣ ص ٦١٥.

(١٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ١٦٢.

(١٦) ابن الأثير، ج ٤ ص ٣٨٠.

(١٧) ابن الأعثم، فتوح، ج ١ ص ٢٥٤.

(١٨) الطبري، ج ٣، ص ٦١٥، ابن سعد، ج ٣ قسم ١ ص ٢١٩.

فتح قيسارية إلى عمرو بن العاص من الشام وسارت معه إلى مصر لفتحها[١٩]. ويذكر المقريزي عدد من رافق عمرو بن العاص من بني ينة مائة رجل ومن بني الأزرق أربعمائة رجل ومن بني روبيل ألف رجل[٢٠]. كما لم يخل جيش عمرو بن العاص في مصر من وجود جماعة فارسية، وقيل انهم قوم من الفرس الذين كانوا بصنعاء. وقد نزلت الفرس كما يقول ابن عبد الحكم بناحية بني وائل[٢١]، وكان سنبخت على عرافة الفارسيين وكان في شرف العطاء[٢٢].

نلاحظ أن قادة الفتح يستعينون كذلك في مناطق الثغور والمناطق المعرّضة لهجوم من القوى البيزنطية بالمعاهدين مقابل اسقاط الجزية، فقد صالح الجَراجِمة حبيب بن مسلمة الفهرى على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللُّكام وأن لا يؤخذوا بالجزية[٢٣]، وعندما أرسل أبو عبيدة ميسرة بن مسروق العبسي للدخول في الدروب وراء الأعداء[٢٤] أشار عليه خالد أن يرسل معهم أدلاء يعرّفونهم الطريق ويكونون لهم عيونا على أعدائهم، فطلب لهم من أهل حلب من المعاهدين من يكون ناصحا لهم فاختاروا لهم وأعطاهم أبو عبيدة وأحسن إليهم وطرح عنهم الجزية[٢٥].

وبقيت الاستعانة بالمعاهدين مقصورة على مناطق الثغور في خلافة بني أمية، إلا أنهم لم يكونوا دائماً يطرحون عنهم الجزية، ففي أقصى الشمال عند التوغل في أرمينيا باتجاه الخزر في عهد هشام بن عبد الملك نجد أن مروان بن محمد وظف على أهل طبرسرانشاه عشرة آلاف مدى في كل سنة تحمل إلى أهراء الباب[٢٦] بعد أن صالحه

(١٩) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ١٢٩.
(٢٠) أحمد بدر، التنظيم العسكري عند العرب، ص ١٢٠.
(٢١) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ١٢٩.
(٢٢) ابن ماكول، الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والأنساب، الطبعة الثانية، بيروت، ج ٤ ص ٣٨٦.
(٢٣) البلاذري، فتوح، ص ١٦٤.
(٢٤) الطبري، ج ٤ ص ١١٢، الواقدي، فتوح، ج ٢ ص ٢، ابن الأثير، ج ٢، ص ٤٩٣.
(٢٥) الواقدى، ج ٢ ص ٢.
(٢٦) البلاذري، فتوح، ص ٢١٠.

ملكها[٢٧]، وعلى صاحب طبرسرانشاه أن يكون في الساقة إذا بدأوا بمهاجمة العدو، وفي المقدمة إذا انصرفوا[٢٨]، كما أنه عندما سار إلى قلعة صاحب شروان وهي تدعى خرش أذعن بالطاعة والانحدار إلى السهل فألزمهم عشرة آلاف مدى في كل سنة وجعل على صاحب شروان أن يكون في المقدمة إذا بدأ المسلمون بغزو الخزر وفي الساقة إذا رجعوا[٢٩]، ولكنه لم يوظف شيئاً على فيلانشاه وذلك «لحسن غنائه وجميل بلائه واحماده أمره[٣٠]» وإنما جعل عليه أن يغزو معهم فقط[٣١].

وعندما نقض جستنيان الثاني الهدنة سنة ٦٩٣م/٧٤هـ مع عبد الملك متخذا من مسألة الدنانير تعلة لنقض الصلح، التقى المسلمون بالجيوش البيزنطية بالقرب من قيسارية Caesarea في معركة سيباستبولس Sebastopolis[٣٢]، وكان جستنيان قد اتجه إلى محاولة استخدام السلاف في الدفاع عن الدولة، فجمع عدداً كبيراً من السلاف ووزعهم على أشد المناطق تعرضا لهجمات المسلمين في آسيا الصغرى والتي كانت في طريق زحفهم جنوب القسطنطينية، فكّون منهم فرقة كبرى بلغت (٣٠,٠٠٠) جندي وجعل مقرّها الرئيسي في بند الاوبسيكيون المطل على الدردنيل، وقد اغترّ جستنيان باستعداداته، ولكنه هزم هزيمة ساحقة كاد معها أن يخسر آسية الصغرى بكاملها، وانحاز عشرون ألفا من الصقالبة إلى المسلمين مما استثار حقد جستنيان فعمد إلى اجراء مذبحة فيمن بقي منهم بجيشه عند لوكاتا[٣٣]، ولذا غدا السلاف مستعدين لخدمة المسلمين في أي نضال حربي ينشب بينهم وبين البيزنطيين، لاسيما وأنهم كانوا على علم بدروب آسيا الصغرى. ويذكر المؤرخ ميخائيل السرياني

---

(٢٧) المصدر السابق، ص ٢٠٩.

(٢٨) المصدر السابق، ص ٢١١.

(٢٩) المصدر السابق، ص ٢١١.

(٣٠) المصدر السابق، ص ٢١٠.

(٣١) المصدر السابق، ص ٢١١.

(٣٢) تعرف هذه المنطقة اليوم باسم سولوسراى Sulu Saray

Ostrogorsky. Op. Cit., p.118.

(٣٣) Theophanes, Sixth Year of Justinian, 692. A.C.P. 558, 559.

George Hill. Op. Cit., 287.

←

أن عبد الملك أسكن هؤلاء الصقالبة الذين انحازوا إلى المسلمين منطقة أنطاكية[٣٤]، وربما دخل قسم من هؤلاء بعد ذلك في الإسلام، إذ يرد في أنساب الأشراف أن مروان ابن محمد كان له موالى من الخزر والصقالبة والروم[٣٥]، كما يذكر البلاذرى أن سلمان وزياد كانا من الصقالبة الذين رتبهم مروان بن محمد في الثغور[٣٦]، وعندما بنى مروان ابن محمد الخصوص شرقي جيحان، بنى عليها حائطا وأقام عليه باب خشب وخندق خندقا وأسكنها الفرس والصقالبة وأنباط نصارى وأعطاهم خططا في المدينة وأعانهم على البناء[٣٧].

أما إذا أردنا التعرّف على العناصر التي كان يتألف منها الجيش الشامي في العصر الأموي، فلا بد من دراسة النصوص المختلفة المتعلقة بالجيوش التي اشتركت إما بقمع الفتن أو الفتوح، ففي صفين تختلف الروايات في عدد جند معاوية مابين ٧٠ ألف[٣٨] إلى بضع وثمانين ألفا[٣٩]، إلى مائة وعشرين ألفا[٤٠]، ولكنّها تتفق على أن جيش معاوية كان يتألف من القبائل العربية[٤١] التي قطنت أو كانت قاطنة في أنحاء الشام، وأن هذا الجيش كان جله يتألف من قبائل قضاعة واليمن ولا نجد ذكرا إلا لقيس دمشق[٤٢]، وعند الدينورى لقيس حمص[٤٣] (لأن منطقة قنسرين في ولاية معاوية للشام كانت لا تزال تابعة لجند حمص) أما الموالي فلا يرد ذكرهم الا كتابعين لأسيادهم[٤٤].

ويستبعد اوستروغورسكي رواية تيوفانس القائلة بأن جستنيان قضى على من بقي من الصقالبة لأن الصقالبة وجدوا في القرن العاشر في جند الاوبسيكيون.

(٣٤) George Hill. Op. Cit., P.288.

(٣٥) البلاذري، أنساب، القسم الثالث ص ١٢١.

(٣٦) البلاذري، فتوح، ص ١٥٥.

(٣٧) المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٣٨) خليفة، ج ١ ص ٢١٨.

(٣٩) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣ ص ٣٣٧.

(٤٠) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج ١ ص ٣٨.

(٤١) خليفة، ج ١ ص ٢٢٢، الطبري، ج ٥ ص ١٤، ابن الأثير، ج ٣، ص ٢٩٦.

(٤٢) خليفة، ج ١ ص ٢٢٢، الدينوري، ص ١٧٢.

(٤٣) الدينوري، ص ١٧٢.

(٤٤) الطبري، ج ٥ ص ١٩.

وبالرغم من أن الروايات المتعلقة بالجيش الذي أرسله يزيد إلى الحجاز لا تشير إلى القبائل وإنما إلى عدد المقاتلة الذين انضموا إلى مسلمة بن عقبة المرى من كل جند، أو عدد المقاتلة من أهل الشام عامة[٤٥]، فانه يمكننا القول ان دور الموالي في الجيش في الفترة السفيانية كان محدودا جدا، فمن جهة نرى أن المقاتلة الذين اشتركوا في معركة مرج راهط سواء مع الضحاك أم مع مروان كانوا كلهم من العرب[٤٦]، كما نستنتج من اقتراح عبيد الله بن زياد وعبد الرحمن بن عبيد الله الثقفي بجمع موالي بني أمية وتسليحهم أجمعين[٤٧] حتى يتسنى لهم دعم مروان، أن موالي بني أمية حتى هذه الفترة لم يكن يعتمد عليهم في القتال، ولكن هذا الاعتماد يزداد تدريجيا ابتداء من خلافة عبد الملك، فعندما ثار الجَراجِمَة في جبل اللُّكام استطاع سحيم بن المهاجر أن يقضي على ثورتهم بجيش من موالي عبد الملك وموالي بني أمية، وجند من ثقات جنده[٤٨]، وأرسل عبد الملك أربعين رجلا من أهل فرغانة مع رجل من بصرى للقبض على الحارث الكذّاب الذي ادّعى النبوة وطلب منهم أن ينطلقوا معه ويطيعون[٤٩]، وعندما ثار يزيد بن المهلّب سنة ١٠١، جهز يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة وابن أخية العباس بن الوليد في سبعين ألف مقاتل، وقيل كانوا ثمانين ألفا[٥٠]، فلما سمع أصحاب ابن المهلّب بوصول مسلمة وأهل الشام راعهم ذلك فخطب ابن المهلّب الناس وقال: قد رأيت أهل العسكر وخوفهم، يقولون قد جاء أهل الشام ومسلمة، وما أهل الشام؟ هل هم إلاّ تسعة أسياف سبعة منها الي وسيفان علي، وما مسلمة الاّ جرادة صفراء أتاكم في برابرة وجرامقة وجراجمة وأنباط وأبناء فلاحين[٥١]، أي بمعنى أن نسبة العرب إلى الموالي كانت ٧ : ٢، وإذا تبين لنا كذلك ظهور فرقة عرفت

---

(٤٥) اليعقوبي، ج ٢ ص ٢٥١، تهذيب دمشق، ج ٧ ص ٦٠.

(٤٦) البلاذري، أنساب، ج ٥ ص ١٣٨، الطبري، ج ٥ ص ٥٣٨، تهذيب، ج ٧. ص ٧.

(٤٧) البلاذري، أنساب، ج ٥ ص ١٣٨.

(٤٨) البلاذري، فتوح، ص ١٩٥، ابن الأثير، ج ٤ ص ٣٠٤.

(٤٩) ياقوت الحموي، ج ٣، ص ٣٢٤.

(٥٠) ابن الأثير، ج ٥ ص ٧٣، ٧٤.

(٥١) المصدر السابق، ج ٥ ص ٧٣، ٧٤، العيون والحدائق، ص ٧٠.

بالوضاحية لعبت دورها في القضاء على ثورة يزيد بن المهلّب[٥٢]، وأن وضاح كان مولى لبني أمية، وكان بربريا، وأن ياقوت الحموي اعتمد في قوله هذا على السكرى في قول جرير:

لقد جاهد الوضاح بالحق معلنا
فأورث مجدا باقيا آل بربرا

أمكننا القول ان الوضاحية فرقة من الموالي، لا سيما أننا نرى هذا البيت في قصيدة لجرير (ضاربو هام الملوك) قالها أيام يزيد بن عبد الملك في أواخر حياته، حيث نراه يثني على الموالي ويطيل في ربط العرب بالعجم بأبي الأنبياء ابراهيم الخليل. فيقول:

وأبناء اسحاق الليوث إذا ارتدوا
محامل مونت لا بسين السّنوّرا
فيوما سرابيل الحديد عليهم،
ويوما ترى خزّا وعصبا منيّرا
لقد جاهد الوضاح بالحق معلنا
فأورث مجدا باقيا آل بربرا
أبونا، أبو اسحاق يجمع بيننا
أب كان مهديا نبيا مطهرا
فيجمعنا والغر أبناء سارة
أب لا نبالي بعد من تعذّرا[٥٣]

ويستمر جرير في القصيدة في حوالي أربعة عشر بيتا، وهو في قصيدته هذه قد تراجع عن نظرته القديمة، نظرة الاشمئزاز من الموالي واحتقارهم[٥٤]، وقد سلك هذا

---

(٥٢) الطبري، ج ٦، ص ٥٩٥، ابن الأثير، ج ٥ ص ٧٣، ٧٤.

(٥٣) ديوان جرير، دار صادر، بيروت، ص ١٨٥ ــ ١٨٧.

(٥٤) نستشف هذه النظرة من الأبيات التى قالها عندما هجا جرير بني العم الذين أعانوا الفرزدق، وكانوا قوما من أعالي فارس قد نزحوا إلى العراق ايام عمر وعاشوا بينهم فقال فيهم:

←

المسلك لاشتراك الموالي مع جيوش الخليفة في القضاء على ثورة يزيد[٥٥] . ونستطيع أن نفهم موقف جرير هذا إذا عرفنا أن جريرا كان شاعرا سياسيا بالمعنى التام، شاعرا يحامي عن نظرية حق الأمويين في الحكم ويناضل عنهم ويسدد سهامه إلى خصومهم، وهو في تضاعيف ذلك يحفهم باطار رائع من التقوى والعمل الصالح مقررا أن شيعتهم على الحق وأن من يخالفهم من الشيع أهل باطل[٥٦] .

يا آل مروان ان الله فضلكـــــم
فضلا عظيمـا على من دينـه البـدع

واعتمد مروان بن محمد على الوضاحية في القضاء على ثورة حمص[٥٧] ، وكان عددهم ثلاثة آلاف كما استخدمهم مروان لقمع ثورة أهل الغوطة[٥٨] ، ويرد كذلك اسم الذكوانية وأنهم موالي سليمان بن هشام بن عبد الملك[٥٩] ، وكان مع مروان يوم معركة الزاب ثلاثة آلاف من المحمرّة ومعه الذكوانيـة والصحصحيـة والراشديـة، بالإضافة إلى القبائل العربية، قضاعة، السكاسك، بني عامر، بني سليم، السكون، غطفان[٦٠] . ويذكر خليفة ابن خياط أن مروان كان في مائة ألف من المقاتلة من أهل

سيروا بني العم، فالأهواز منزلكم ونهر تيرى، فلـم تعرفكـم العـرب
الضاربو النخل لا تنبوا مناجلهـم عن العـذوق ولا يعيبهم الكـرب

وقال لطعمة بن قرط العنبري لما أراد أن يبيعه رفد القرى، وأن هذا يجب أن يتعفف عنه العربي ولا يأتيه إلاّ الموالي :

قالوا اشتروا جزرا منـا فقلـت لهم بيعوا الموالي واستحيوا من العـرب

وقال في هجاء التيم :

ومـا جعـل القـوادم كالذنـانى ومـا جعـــل الموالي كالصميم

(٥٥) د. نعمان محمد أمين طه ــ جرير، حياته، وشعره، دار المعارف، مصر، ص ١٧٥ .

(٥٦) د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٥٧) الطبري، ج ٧ ص ٣١٣، ابن الأثير، ج ٥ ص ٣٢٩ .

(٥٨) الطبري، ج ٧، ص ٣١٣، ابن الأثير، ج ٥ ص ٣٢٩ .

(٥٩) الطبري، ج ٧، ص ٣١٢، ابن الأثير، ج ٥، ص ٣٢٤، وذكوان بن عبد الله مولى عبد الملك بن مروان .

(٦٠) الطبري، ج ٥ ص ٤٣٣ .

الشام والجزيرة، وحشدت معه بنو أمية بأنفسهم وأتباعهم[٦١]، أما المحمرة فهم على الأكثر موالي مروان بن محمد من الخزر والصقالبة والروم[٦٢]، وقد رأينا أن الذكوانية هم من موالي سليمان بن هشام بن عبد الملك، فإذا اعتبرنا المحمرّة والذكوانية فرقا من الموالي أمكننا بالقياس أن نعتبر الصحصحية، والراشدية من الموالي كذلك لاسيما وأن الطبري يورد صراحة أسماء القبائل العربية التي اشتركت في معركة الزاب بالإضافة إلى هذه الفرق من الموالي، ثم اننا إذا رأينا كثرة موالي بني أمية في الأندلس الذين دعموا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام[٦٣]، استطعنا أن نستنتج أن الجيش الذي أرسله هشام بن عبد الملك للقضاء على ثورة البربر والذي دخل منه حوالي ١٠ آلاف مع بَلْج بن بِشْر إلى الأندلس كان يضم عددا لايستهان به من الموالي، وان لم يرد ذلك بشكل صريح عند ذكر الجيش الذي أرسل، وبالرغم من اسهام الموالي في الجيوش الأموية الشامية إلا أن دورهم يبقى متواضعا بالنسبة للمقاتلة من أبناء القبائل العربية.

أما فيما يتعلق بتحديد أعداد المقاتلة في الشام، فأمر فيه بعض الصعوبة لاشتراك المتطوعين، ومقاتلة من الأمصار الأخرى أحيانا، ففي الحملة التي وجهت للقسطنطينية في خلافة سليمان، بلغ الجيش الذي توجه مع مسلمة مائة ألف وعشرين ألفا حسب قول ابن العبري[٦٤] وخمسمائة ألف وثلاثين ألفا ممن يأخذون العطاء ويتقلبون في الرزق حسب رواية ابن قتيبة[٦٥]، وربما أشار ابن العبري إلى عدد المقاتلة من أهل الشام بينما يذكر ابن قتيبة عدد مقاتلة الجيش من أهل الشام والأمصار الأخرى التي اشتركت مقاتلتها في هذه الحملة، وفي نفس الوقت الذي اشترك فيه الجند الشامي في غزو القسطنطينية، نجد الطبري يذكر أن عدد المقاتلة الشاميين في جيش يزيد بن المهلّب الذي توجه لفتح جرجان بلغ ٦٠ ألفا[٦٦]، أي أن عدد المقاتلة في الشام في خلافة

---

(٦١) خليفة، ج ٢ ص ٦١١.

(٦٢) البلاذري، أنساب القسم الثالث، ص ١٢١.

(٦٣) ابن عذارى، ج ١، ص ٦٠، ٦١، ج ٢، ص ٦١ــ٦٥.

(٦٤) ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ص ١١٤.

(٦٥) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج ٢ ص ٧٣.

(٦٦) الطبري، ج ٦ ص ٥٣٩.

سليمان بن عبد الملك بلغ مائة ألف وثمانين ألفا، وربما ضم هذا العدد أهل الديوان والمتطوعة كذلك، وفي تاريخ تيوفانس أن الصائفة التي توجهت سنة ١٠٨ هـ/٧٢٦ م ضمت مائة ألف مقاتل، (١٥) ألف مقاتل بأسلحة خفيفة بقيادة عامر بن ضبارة، و (٨٥) ألف مقاتل بقيادة معاوية بن هشام بن عبد الملك وأنهم هاجموا نيقيا Nikaie من منطقة بيثينيا Bithynien[٦٧]، وبالرغم من أن مسلمة بن عبد الملك كما يذكر البلاذري أسكن أربعة وعشرين ألفا من أهل الشام في مدينة الباب والأبواب على العطاء في خلافة هشام[٦٨]، وأن هشاما أرسل جيشا إلى الأندلس يتألف من سبعة وعشرين ألف مقاتل، ستة آلاف من كل جند باستثناء جند قنسرين الذي اكتفى منه بثلاثة آلاف فقط[٦٩]، فاننا نرى أن مروان عندما سار إلى الشام لخلع ابراهيم بن الوليد، وجه ابراهيم الجنود مع سليمان بن هشام بن عبد الملك في عشرين ومائة ألف، بينما كان مروان في ثمانين ألفا من أهل الجزيرة وقنسرين[٧٠]، وهذا يعني تسجيلاً مستمرا في ديوان العطاء في أجناد الشام، وأن متوسط عدد مقاتلة جيش الشام كان يتراوح بين مائة ألف ومائة ألف وعشرين ألفا.

كان الجند الشامي على أهبة الاستعداد دائما طيلة خلافة بني أمية، فالغزوات في الجبهة الشمالية، والتي كانت تعتمد على جند الشام كانت متواصلة تقريباً بالإضافة إلى الصوائف والشواتي التي كانت مستمرة، فإذا انقطعت فمعنى ذلك انشغال الجند بقمع فتنة، ولا شك أن نظام الصوائف والشواتي الذي ظل معمولاً به طيلة خلافة بني أمية كان عبارة عن تمرينات ومناورات جماعية، جعلت مقاتلة الشام أكفأ المقاتلين، لأن بني أمية كما يقول البلاذري كانت تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية مما يلي ثغور الشام والجزيرة[٧١]، ولكن هذا لم يكن يمنع الراغبين في الجهاد من الاشتراك في

---

(٦٧) Theopanes. Tr. Leopold Breyer. P. 38.

(٦٨) البلاذري، فتوح، ص ٢٠٩.

(٦٩) أحمد بدر، تاريخ المغرب والأندلس، ص ٤٠.

(٧٠) الطبري، ج ٧، ص ٣٠٠، ٣٠١.

(٧١) البلاذري، فتوح، ص ١٦٧، العيون والحدائق، ص ٨٩.

هذه الحملات من الزهاد والعباد والصالحين[٧٢]. بالإضافة إلى اشتراك جيش الشام والجزيرة في الصوائف والشواتي، كانت البعوث تضرب أحيانا على أهل المدينة، فقد ضرب الوليد بن عبد الملك البعث على أهل المدينة في سنة ٨٨ هـ، فذكر محمد بن عمر عن أبيه أن مخرمة بن سليم الوالبي، قال: ضرب عليهم بعث ألفين، وأنهم تجاعلوا[٧٣]، فخرج ألف وخمسمائة، فغزوا الصائفة مع مسلمة والعباس[٧٤].

وعندما حج هشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ هـ بالناس، قدم المدينة فوافق قدومه موت سالم بن عبد الملك بن عمر بن الخطاب، فصلى هشام على سالم بالبقيع لكثرة الناس، فلما رأى كثرتهم قال لابراهيم بن هشام المخزومي: اضرب على الناس بعث أربعة آلاف فسمي عام الأربعة آلاف[٧٥]. وكان الناس إذا دخلوا الصائفة خرج أربعة آلاف من المدينة إلى السواحل، فكانوا هناك إلى انصراف الناس وخروجهم من الصائفة.

إلى جانب المقاتلة كان هناك الطلائع الذين يرتادون مكان نزول الجيش قبل نزوله وكان الخليفة عمر بن الخطاب يؤكد على أهمية هؤلاء في تتبع عورات العدو وأن يكون هؤلاء من أهل الرأى والبأس[٧٦]، ثم صاحب الأقباض، وصاحب المقاسم[٧٧] أو والي المقاسم، وقد توكل المهمة لشخص واحد يتولى جمع وتقسيم الغنائم[٧٨]، ثم هناك

---

(٧٢) مصعب الزبيري، نسب قريش ص ٣٣٩، ابن خلكان، ج ٢ ص ٤٢١، تهذيب تاريخ دمشق، ج ٤ ص ٤٠٦.

(٧٣) المعنى الاصطلاحي كما ورد في لسان العرب، أن يكتب الغزو على الرجل فيعطي رجلا آخر شيئاً ليخرج مكانه، وقيل الجعل والجعالة أن يكتب البعث على الغزاة فيخرج من الأربعة أو الخمسة، رجل ويجعل له جعل (لسان العرب، طبعة بولاق، سنة ١٣٠١ هـ، مادة جعل)، وفي حديث ابن سيرين أن ابن عمر ذكروا عنده الجعائل فقال: لا أغزو على أجر ولا أبيع أجرى من الجهاد.

(٧٤) الطبري، ج ٦، ص ٤٣٤.

(٧٥) الطبري، ج ٧ ص ٢٩.

(٧٦) النويرى، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٦ ص ١٦٩.

(٧٧) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٧.

(٧٨) ابن الأعثم، فتوح، ج ٢ ص ١٢٦، الخولاني، تاريخ داريا، ص ٧٦، ٨٩.

أصحاب الساقة الذين يخلفون الجيش، بسوق الناس وحفظ ماعساه يسقط منهم أثناء السير، ويذكر ابن خلدون أن العرب كانت أسفارهم لغزواتهم وحروبهم بظعونهم وسائر حللهم وأحيائهم من الأهل والولد كثيرة، حتى في العهد الأموي ولذلك كانت عساكرهم كثيرة الحلل بعيدة مابين المنازل متفرقة الأحياء، يغيب كل واحد منها عن نظر صاحبه من الأخرى[٧٩]، ولذلك كان عبد الملك يحتاج إلى ساقة تحشد الناس على أثره أن يقيموه إذا ظعن وأن يرحلوا إذا رحل، ونقل أنه استعمل في ذلك الحجاج حين أشار به روح بن زنباع، وقصته في احراق فساطيط روح وخيامه لأول ولايته حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة[٨٠].

بالإضافة إلى الطلائع والساقة كان هناك السعاة الذين يقومون بحمل الرسائل والكتب بين القواد والولاة أو بين القواد والخليفة، كما وجدت بعض الفئات المدنية كالقرّاء والقصاص، وفئة العمال والفعلة والأطبة.

اعتاد المسلمون أول أمرهم أن يترنّموا أثناء معاركهم بالشعر الحماسي جريا على عادة العرب في جاهليتهم متخذين من الرجز وأنغامه مثيرا لنفوسهم ومنشطا لدوابهم، كما وجدوا في شعر حسان بن ثابت وابن رواحة معينا لا ينضب، فلما توالى نزول القرآن ونصحهم الله بالذكر في قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون[٨١]»، صاروا يكثرون من تلاوته وذكر الله في حروبهم يتلمّظون به بلا صوت تلمّظ الأفاعي[٨٢]، ثم عرف جماعة منهم بحفظ القرآن يسمّون القراء، كانوا يخرجون من الجيش ويتفرقون بين صفوفه يسمعون الناس سورة الأنفال لما فيها من ذكر الثواب في الآخرة على الجهاد. وكان القارىء في الجيش الإسلامي في معركة اليرموك المقداد بن الأسود[٨٣]، ثم ازداد عدد القرّاء بعد ذلك بحيث أنهم شكلوا في العراق

---

(٧٩) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢ ص ٨١٨.

(٨٠) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥ ص ١٤، ابن خلدون، المقدمة، ج ٢ ص ٨١٨ شرف الدين بن يوسف الانصاري، التذكرة الأيوبية، ص ١٢٣.

(٨١) سورة الانفال، آية ٤٥.

(٨٢) ابن سعد، ج ٢ ص ١٠.

(٨٣) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٧.

كتيبة عرفت بكتيبة القرّاء اشتركت مع ابن الأشعث في ثورته على الحجاج[٨٤]. بالإضافة إلى القراء وجد القصاص منذ وقت مبكر، فكان أبو سفيان بن حرب هو القاص في معركة اليرموك[٨٥]، ولا شك أن عددهم ازداد في العصر الأموي، وإن كانت الروايات تشير إلى كثرتهم في المساجد وليس إلى دورهم في اثارة روح الفداء والروح المعنوية للجند أثناء القتال[٨٦].

وكان المسلمون أول أمرهم يقومون بواجب الجهاد كما يقومون بالأعمال الأخرى اللازمة لهم من حفر الخنادق وإقامة التحصينات وزرع الحسك[٨٧] يشترك في ذلك كبيرهم وصغيرهم، فلما فتحوا الأقطار وكثر في أيديهم الرقيق كان من الطبيعي أن يستعينوا بهم على أعمال الجهاد الهينة كتعهد الجمال والخيل وحزم الأمتعة وحراستها في الحل والترحال، واقامة القناطر والجسور، لاسيما وأن العرب رأوا كثرة الأتباع لدى الفرس، فقد روى السرى عن شعيب عن سيف أن رستم خرج في عشرين ومائة ألف كلهم متبوع، وكانوا بأتباعهم أكثر من مائتي ألف وأنه خرج من المدائن في ستين ألف متبوع[٨٨]. وكان هذا النظام متبعا كذلك عند البيزنطيين حيث كان قادتهم يحضرون معهم عددا من الغلمان بعضهم أرقاء وبعضهم خدم مأجورون، واستحسن

---

(٨٤) المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٥٠، ٣٥٧.

(٨٥) المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٩٧.

(٨٦) فيما يتعلق بالقاص ودوره في العصر الأموي يمكن العودة إلى كتاب الإدارة في العصر الأموي، ص ٣٣٢ــ٣٣٤.

(٨٧) أصل الحسك الشائك في اللغة نبات له ورق كورق الرجلة، وعند ورقه شوك ملزّز وصلب ذو ثلاث شعب، تعلق ثمرته بصوف الغنم، ويظهر أن هذا الشوك كان كثير الوجود في بلاد العرب، فقد ضربوا بشوكه المثل في الصلابة، وقد استخدمه المسلمون في حروبهم، كما استخدمه الفرس والروم في التحصين، والرسول عليه السلام أول من استخدمه في الإسلام وذلك في حصار الطائف، ثم نرى المسلمين فيما بعد يصنعونه من أصابع حديدية مدببة لها شعب ثلاث أو أربع يبثونه حول الخنادق لمنع تقدم الخيل والرجال، وقد استخدم الفرس حسك الحديد في صد هجوم النعمان بن مقرّن (الطبري ج ٤ ص ١١٥، ١١٩) وقد ذكر صاحب آثار الأول، ما يفيد أن العرب أجادوا ذلك النوع من وسائل الدفاع وصار للحسك عندهم صنّاع يعدونه وعمال ينقلونه على الدواب، ويبثونه في الطرق التي يحتمل قدوم العدو منها. الحسن العباسي، آثار الأول في تدبير الدول، مخطوط بالمتحف الحربي بالقلعة برقم (٣٨٣) ومطبوع على هامش تاريخ الخلفاء للسيوطي ط مصر ١٣٠٥ هـ، ص ٢١٥.

(٨٨) الطبري، ج ٣ ص ٢١٥.

الامبراطور ليون تلك العادة وأوصى بتشجيع الفقراء من الفرسان أن يقتني كل أربعة أو خمسة منهم خادما وتابعا لحمل أمتعتهم التي لا يمكن حملها معهم بسهولة[٨٩] .

وبالرغم من أن الاشارات إلى كثرة الاتباع لاترد صراحة في مصادرنا ، فاننا نستطيع القول بأن العرب اتبعوا هذه الطريقة ، فقد ورد في الطبري أن عدد رجال ابن الأشعث في معركة دير الجماجم كانوا مائة ألف ممن يأخذون العطاء ومثلهم من مواليهم[٩٠] . كما أن مروان بن محمد في حربه سنة ١٢٧ هـ ضد الخوارج كان جيشه يضم الكثير من العبيد ، ومما يدل على أن هؤلاء العبيد لم يكونوا مسلحين أو فرقة محاربة هو أن مروان عندما هزم ودخل الخيبرى حجرة مروان وقطع أطنابها ، ورأى أهل معسكر مروان قلة من مع الخيبرى ، ثار إليه عبيد من أهل العسكر بعمد الخيام فقتلوا الخيبرى وأصحابه جميعا[٩١] . وفي تاريخ خليفة بن خياط أنه كان في حرس مروان رجل يقال له سليمان بن مسروح البربري فنادى في العبيد من اتبعني فهو حر ، فاجتمع إليه من العبيد ثلاثة آلاف رجل فقتل الخيبرى[٩٢] . كما أن مروان بن محمد في حربه مع سليمان بن هشام بن عبد الملك أرسل الفعلة بالفؤوس لقطع الأشجار ليعقدوا جسورا ، ويجوزوا إلى عسكر سليمان[٩٣] .

أما من حيث الأطباء ومن يعينهم في مداواة الجرحى ، فقد كان الطب لدى المسلمين ضعيفا في عهد الرسول (صلعم) ولم يكن للمجروح في القتال من يقوم بعلاج جراحه إلا زوجه أو من يلوذ به من أهله ، فقد كثرت الجراحات بالمسلمين يوم أحد وليس من يعني بجراحاتهم[٩٤] . ولكن في معركة الخندق نجد ذكرا لامرأة يقال لها رفيدة في خيمة لها بمسجد المدينة تداوى الجرحى الذين يذهبون إليها ، وعندما جرح سعد بن معاذ طلب الرسول من قومه أن يجعلوه في خيمة رفيدة[٩٥] . ثم ان هذه المهمة

---

(٨٩) Dr. Omar. A History of the art of War. P. 190.

(٩٠) الطبري ، ج ٦ ص ٣٤٧ .

(٩١) الطبري ، ج ٧ ص ٣٤٧ .

(٩٢) خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٥٦٩ .

(٩٣) الطبري ، ج ٧ ص ٣٠١ .

(٩٤) الطبري ، ج ٢ ص ٥١٤ ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٣ ص ٢٨ .

(٩٥) الطبري ، ج٢ ص ٥٨٢ .

كما يبدو صارت من خصائص بعض النساء المسلمات المتطوعات، فعن أم عطية الأنصارية «كنا نغزو مع رسول الله (صلعم) فنداوى الجرحى ونمرّض المرضى وكان يرضخ لنا من الغنيمة[٩٦]»، أي يعطيهن ولا يضرب لهن بسهم كالرجال.

ونلاحظ أنه باتسّاع الفتوح وبعد الأسفار صار المسلمون يصحبون معهم نساءهم، فكان أول واجباتهن سقي المحاربين والعناية بالجرحى، وحمل الماء لهم ونقلهم إلى مكان أمين لعلاجهم، وحفر القبور لموتى المسلمين، «فكان النساء يطفن في أرض المعركة ومعهن أولادهن فيدفنون الشهيد، ويحملون الرثيث إلى النساء ويعالجونهم من كلومهم[٩٧]، وأول ذكر للأطباء عند الطبري نجده في رواية سيف في قوله ان عمر بعث بالأطبة إلى سعد[٩٨]. وفي خلافة بني أمية نجد ذكرا لأبي الحكم الذي كان طبيبا نصرانيا عالما بأنواع العلاج والأدوية وكان طبيبا لمعاوية، وقد أرسله مع يزيد بن معاوية عندما ولاه الموسم متطببا له[٩٩]. وعندما وجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المرى نحو الحجاز أصحب معه طبيبا[١٠٠]، ولا شك أن عدد الأطباء ومعاونيهم قد ازداد مع مرور الزمن بعد أن حذق العرب الطب من الفرس والروم.

التعبئة والقيادة

ما أن تم فتح الشام حتى عمد عمر بن الخطاب إلى تقسيم الشام إلى أجناد أو مراكز عسكرية أربعة هي جند حمص، ودمشق، والأردن، وفلسطين، ولقد أوجد معاوية فيما بعد جند قنسرين، وأوضح البلاذري أن هذه الأجناد كانت مراكز للمقاتلة يأخذون أعطياتهم من فيئها، وكان ديوان كل جند يضم سجلات بمقاتلة القبائل المقيمين في ذاك الجند ومن يلوذ بهم، ولذا نجد أن كثيرا من المصادر لا تذكر

(٩٦) ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج ١ ص ٣٧٩.
(٩٧) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢ ص ٥١٤.
(٩٨) الطبري، ج ٢ ص ٥٨٢.
(٩٩) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ١٧٥.
(١٠٠) البلاذري، أنساب، ج ٤ قسم ٢ ص ٤١.

أسماء القبائل التي اشتركت وإنما تشير إلى عدد المقاتلة من كل جند[١٠١]، وبالرغم من أن الروايات المتعلقة بالعرفاء ودورهم تكاد تكون معدومة، فإن الإشارة إلى جود عريف للسكاسك في الشام مثلاً[١٠٢]، تجعلنا نميل إلى الاعتقاد أنه كان لكل قبيلة عريفها، كما كان الأمر في مصر والعراق في خلافة بني أمية[١٠٣]، وأن هذا العريف كان مسؤولا عن أفراد قبيلته، ولكن ليست لدينا أدلة تشير إلى أن دورهم في الشام كان كدورهم في العراق حيث كان العرفاء مسؤولين عن أفراد عرافاتهم، وعن توزيع العطاء وعن الأمن والنظام في عرافاتهم[١٠٤]، وعن تقديم العدد اللازم من الجند عند ارسال البعوث[١٠٥].

أما تقديم العدد اللازم من المقاتلة في الشام فيبدو أنه كان يتم عن طريق الانتخاب أو القرعة، هذا ما نستنتجه من الرواية الواردة عند الطبري في صدد الكلام عن غزوة قبرص، إذ أن عثمان عندما أذعن لالحاح معاوية في غزو البحر، سمح له بذلك شريطة أن لا ينتخب ولا يقرع بينهم وإنما يخيرهم «فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه[١٠٦]».

---

(١٠١) اليعقوبي، ج ٢ ص ٢٥١، تهذيب، ج ٧ ص ٦٠.

(١٠٢) تهذيب، ج ٥ ص ٢٥.

(١٠٣) أنظر كتاب الإدارة في العصر الأموي فيما يتعلق بالعريف وتطور واجباته، ص ٣١٩، ٣٢٤.

(١٠٤) عن أبي مخنف أن عبيد الله بن زياد حين ولاه يزيد الكوفة، أخذ العرفاء والناس أخذا شديدا وقال للعرفاء: اكتبوا إلى الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبريء، ومن لم يكتب لنا أحدا فيضمن لنا مافي عرافته ألاّ يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا، صلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من العطاء (الطبري ج ٥ ص ٣٥٩).

(١٠٥) عندما قرر الحجاج ارسال عثمان بن سعيد لقتال شبيب الخارجي، دعا أصحاب الدواوين فطلب منهم أن يضربوا البعث على الناس، وأن يخرجوا أربعة آلاف من الناس من كل ربع ألف رجل، وأن يعجّلوا في ذلك، فجمعت العرفاء وجلس أصحاب الدواوين، وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف (الطبري، ج ٦ ص ٢٣١)، كما أن الحجاج دعا العرفاء وطلب منهم أن يلحقوا الناس بالمهلّب وأن يأتوه بالبراءات بموافاتهم (الطبري ج ٦ ص ٢٠٥).

(١٠٦) الطبري، ج ٤ ص ٢٦٠، ابن الأثير، ج ٣ ص ٩٦.

وكان سفيان بن عوف الأزدي قد اتخذ من كل جند من أجناد الشام أهل فروسة ونجدة وعفاف وسياسة للحرب، فكانوا عدة له قد عرفهم وعرفوا به[١٠٧]، أي أنه كان ينتخب هؤلاء انتخابا، وربما كان ذلك يتم وفق المهمات التي توكل إلى القائد، وعندما عين عبد الملك بشر بن مروان والياً على العراق كتب إليه أن يبعث المهلّب في أهل مصره إلى الأزارقة، ولينتخب من أهل مصره وجوههم وفرسانهم وأولي الفضل والتجربة منهم لأنه أعرف بهم[١٠٨].

يتبين لنا مما تقدم أن التسجيل في الديوان يلزم المقاتلة البقاء ضمن نطاق جندهم ويلزمهم الخروج للقتال في نفس الوقت، إلا أن الانضمام إلى الديوان كان اختياريا من حيث المبدأ، كما لم تفرض الدولة على الفرد الانضمام إلى الديوان إلا وقت الضرورة، وفي حالة تسجيل الشخص في الديوان كان عليه الإجابة حين دعوته[١٠٩]، فإن الفرض لأناس في العطاء عند الحاجة[١١٠]، يشعر بأن الكثيرين لم يكونوا في الديوان والأمثلة المتعلقة بالعراق كثيرة[١١١]. ويبدو أن تعبير الفرض يشير إلى التسجيل لأول مرة في الديوان. يذكر أبو مخنف أن الحارث بن عميرة خرج لمحاربة الخوارج في «ألف من المقاتلة الأولى، وألفين من الفرض الذين فرض لهم الحجاج[١١٢]». كما يذكر المدائني أن أعرابياً من طيء خرج إلى الشام إلى بني عم له، فطلب صلتهم، فلم يعطوه طائلاً وعرضوا عليه الفرض فأبى ثم قدم قنسرين فأعطوه شيئاً قليلا وقالوا: تفترض، فقال:

أقمنا بقنسرين ستة أشهر
ونصفا من الشهر الذي هو سابع

(١٠٧) تهذيب، ج ٣ ص ٤٥٥.
(١٠٨) الطبري، ج ٦ ص ١٩٦.
(١٠٩) ابن سعد، ج ٦ ص ٢٣٤.
(١١٠) الطبري، ج ٥ ص ٦٢٠، ج ٧ ص ٤٦٤، تاريخ الخلفاء لمؤلف مجهول، ص ٥٥٢.
(١١١) الطبري، ج ٥ ص ٦٢١، ج ٦ ص ٢٢٢، ج ٧ ص ٤٦٤، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١ ص ٢٧٤.
(١١٢) الطبري، ص ٢٢٠.

يؤمـون بي موقـــان أو يفـــرضون لي
إلى الري لا يسمع بذلك سامـع[١١٣]

لا شك أن هذه الأبيات تعكس وضع مقاتلة الشام الذين كانوا مصدر النجدات لاخماد الثورات أو للمعونة في الفتح، ولعل ذلك كان يدفع البعض إلى الامتناع عن التسجيل في الديوان كهذا الاعرابي الذي خشي أن يؤدي تسجيله في الديوان إلى ارساله إلى موقان أو الرى ولذلك نجد يزيد الثالث يعد في جملة وعوده التي أطلقها لنيل الدعم لحكمه، أن يبقي القوات الشامية في أرضها ولا يرسلها إلى الخارج كما جرى الأمر مرارا وتكرارا[١١٤]. ومع ذلك نلاحظ أن التسجيل في الديوان في الشام كان يتم باستمرار، يدل على ذلك الأعداد الكبيرة من المقاتلة التي وجدت في دمشق عندما حاصرها عبد الله بن علي، فقد بلغ عدد الجند (٥٠) ألفا[١١٥]، بينما نجد قلة عدد أهل الديوان في الكوفة مثلا في نهاية الدولة الأموية، فعندما كتب مروان بن محمد إلى يزيد بن عمر بن هبيرة أن يوجه اثنى عشر ألفا من المقاتلة ويفرض لأناس آخرين ويلحقهم بنصر بن سيار كتب يزيد بن عمر إلى مروان، بأن ما معه من الجنود لا يفون باثنى عشر ألفا ويعلمه أن فرض الشام أفضل من فرض العراق، لأن عرب العراق ليست لها نصيحة للخلفاء من بني أمية وفي قلوبهم إحَن[١١٦].

تطور شكل التعبئة عندما اضطر القواد المسلمون إلى مواجهة جيوش الفرس والبيزنطيين الضخمة والتي كانت لا تقاتل إلا على نظام وتعبئة، ومعنى التعبئة لدى ابن خلدون: تقسيم الجيوش والعساكر أقساما لكثرتها ويسمونها كراديس، ويسوون في كل

---

(١١٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤ ص ٤٠٤، ج ٥ ص ٢٢٥.
وموقان، ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرعي فأكثر أهلها منها، وهي بأذربيجان، كما يذكر ياقوت عن ابن الكلبي أن موقان وجيلان هما أهل طبرستان وأهله يسمونه موغان.

(١١٤) خليفة بن خياط، ج ٢ ص ٥٥١، الطبري، ج ٧، ص ٢٦٩.

(١١٥) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٣٤، تهذيب، تاريخ دمشق، ج ٧، ص ٦٢.

(١١٦) الدينوري، الأخبار الطوال ص ٣٦٠.

كردوس صفوفه، ويرتبونها ترتيبا قريبا من الترتيب الطبيعي في الجهات الأربع، فالقائد أو الأمير العام في القلب ثم هناك الميمنة والميسرة والمقدمة والساقة، فإذا تمّ هذا الترتيب المحكم إما في مدى واحد للبصر أو على مسافة بعيدة أكثرها اليوم أو اليومان بين كل عسكرين منها أو حسب حال الجند في القلة والكثرة، فحينئذ يكون الزحف بعد هذه التعبئة[١١٧]».

وعندما وصل خالد مددا لقوات الشام بناء على أمر أبي بكر وجد أن قتال الجند كان على تساند[١١٨]، كل جند وأميرهم لا يجمعهم أحد وهم متضايقون بمدد الروم، فبيّن لهم أنه لا يجوز لهم مقاتلة الروم وهم قوم على نظام وتعبئة بينما العرب على تساند وانتشار، وأن أبا بكر لو علم بالذي كان ويكون لجمعهم، وخوفا من أن يرفض رأيه، اقترح أن يتعاوروا الامارة، «فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غدا والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ودعوني إليكم اليوم[١١٩]»، ونتيجة لذلك خرج خالد كما يقول السري عن شعيب عن سيف في تعبية لم تعبّها العرب قبل ذلك، فخرج في ستة وثلاثين كردوسا إلى أربعين فجعل القلب كراديس وجعل القيادة لأبي عبيدة، وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان، والميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص. وإذا قمنا باحصاء الكراديس في القلب والميمنة والميسرة لوجدنا أن القلب كان يضم ستة عشر كردوسا، بينما نجد عشرة كراديس في كل من الميمنة والميسرة، وإذا عرفنا أن المقاتلة كان يتراوح عددهم بين ٣٦ ألفاً إلى ٤٠ ألفاً أمكننا القول ان الكردوس كان يتألف تقريبا من ألف مقاتل، وعلى كل كردوس قائد، وهؤلاء يأتمرون بأمر قواد الميمنة أو الميسرة أو القلب، وهؤلاء بدورهم يأتمرون بأمر القائد الأعلى خالد ابن الوليد.

والقتال على التعبئة كما يقول ابن خلدون، مذكور في أخبار فارس والروم والدولتين

---

(١١٧) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢ ص ٨٢٤، ٨٢٥.

(١١٨) خرج القوم متساندين، أي على رايات شتى، إذا خرج كل بني أب على راية ولم يجتمعوا على راية واحدة تحت راية أمير واحد (الطبري ج ٣ ص ٣٩٦).

(١١٩) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٦ ــ ٣٩٧.

في صدر الإسلام، أي الخلافة الراشدة ودولة الأمويين[١٢٠]، أي أن الأمويين استمروا في اتباع هذا النظام في تقسيم الجند إلى ميمنة وميسرة وقلب، ولكننا نجد عودة إلى نظام الصفوف في معركة صفين، إذ حرّض علي أصحابه فقال في كلام له: «فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص[١٢١]». ويقدم لنا كل من الدينوري وخليفة بن خياط لوحة يكمل بعضها البعض، فيذكر الدينوري أن كل فريق منهم اصطف في سبعة صفوف، صفين في الميمنة وصفين في الميسرة وثلاثة صفوف في القلب وأن القائد العام أو الأعلى في جيش معاوية كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد الذي دفع إليه معاوية باللواء الأعظم، ثم وجد قائد عام للرجالة وآخر للخيالة، وقائد للميمنة وآخر للميسرة وثالث للقلب، ثم كان لكل مقاتلة جند قائد ولكل قبيلة ضمن الجند قائدها وزعيمها[١٢٢]، أي نلاحظ أن رابطة النسب القبلية ظلت تراعى في تشكيل الكتائب أو وحدات الجيش التي تدخل ضمن وحدات أكبر قائمة على أساس الروابط الجديدة التي نشأت بعد موجة الفتوحات كرابطة القاعدة العسكرية أو الجند[١٢٣]. ويبدو أن الزحف بالصف استمر طيلة الفترة الأموية حتى خلافة مروان بن محمد الذي أبطل الصف وصار إلى التعبئة كراديس في قتال الضحاك الخارجي والخيبري من بعده[١٢٤]، ويورد الطبرى ذلك في قوله: فلما قتل الخيبرى سنة ١٢٧ هـ وبويع شيبان قاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف منذ يومئذ، وجعل الآخرون يكردسون بكراديس مروان كراديس تكافئهم وتقابلهم[١٢٥].

القيادة

كانت القيادة منذ عهد الرسول تعهد إلى أشخاص يتمتعون بخصال معينة، فقد أثر عنه (صلعم) قوله: «اني لأؤمّر الرجل على القوم وفيهم من هو خير منه لأنه

---

(١٢٠) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢ ص ٨٢٥.
(١٢١) ابن الأثير، ج ٣ ص ٢٩٧.
(١٢٢) الدينوري، ١٧٢، خليفة، ج ١ ص ٢٢٢.
(١٢٣) خليفة، ج ١ ص ٢٢١ــ٢٢٢، الدينوري، ص ١٧١ــ١٧٢.
(١٢٤) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢ ص ٨٢٨.
(١٢٥) الطبري، ج ٧ ص ٣٤٩.

أيقظ عينا وأبصر بالحرب»، وبعث الرسول بعثا على رأسه عمرو بن العاص ومعه أبو بكر وعمر لعلمه بالحرب[١٢٦].

وعندما قرر أبو بكر توجيه الجيوش إلى الشام جعل القيادة للصحابة المشهود لهم بالحزم وبقوة الشكيمة عند القتال والقدرة على تنظيم الجند واعدادهم، وكان عمر كذلك يؤمر الصحابة «إذا وجد من يجزى عنه في حربه، فان لم يجد ففي التابعين باحسان[١٢٧]». وظلت قضية السابقة تراعى حتى في التعيين للقيادات الأصغر، فعندما سمح عمر لسعد بن أبي وقاص باستخدام المرتدين أمره أن لا يولي رؤساءهم على مائة[١٢٨]، ولكن عمرا شذّ عن قضية السابقة في تعيين أبي عبيد بن مسعود لأنه كان أول الناس انتدابا لحرب الفرس، إذ أنه عندما قيل لعمر بعد أن اجتمع البعث المقرر توجيهه إلى العراق: أمر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والأنصار، قال: «لا والله، لا أفعل، إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو، فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء، والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتدابا». وكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود وقيل سليط بن قيس، فأمّر أبا عبيد[١٢٩]، وعن رجل من الأنصار أن عمر رضي الله عنه قال لأبي عبيد «إنه لم يمنعني أن أؤمّر سليطا إلا سرعته إلى الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع إلا عن بيات، والله لولا سرعته لأمّرته ولكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث[١٣٠]». كما أنه أوصى أبا عبيد أن يسمع من أصحاب النبي (صلعم) وأن يشركهم في الأمر[١٣١]، ولكن شرط السابقة بدأ يتضاءل وان كان معاوية في الشام قد جعل القيادة للصحابة وأبنائهم

---

(١٢٦) النويري، نهاية الأرب، ج ٦ ص ١٥٢.
(١٢٧) الطبري، ج ٤ ص ٢٥.
(١٢٨) المصدر السابق، ج ٣ ص ٥٥٧.
(١٢٩) الطبري، ج ٣ ص ٤٤٥، البلاذري، أنساب ج ٥ ص ٢١٤.
(١٣٠) الطبري، ج ٣ ص ٤٤٥.
(١٣١) المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٤٥.

المشهود لهم بالكفاءة والاخلاص له بالإضافة إلى اعتماده على سادات القبائل في كل جند[١٣٢].

أما في الفترة المروانية فنلاحظ ازديادا كبيرا في الاعتماد على أمراء بني أمية من آل مروان كقادة، وإن بقي لسادات القبائل قيادة قبائلهم، إذ نرى عبد الملك عندما حشد جيشا لقتال الروم واجتمع هذا الحشد خارجا من مدينة دمشق، خرج إليهم عبد الملك فعبأهم فجعل على كل قبيلة من القبائل رجلا من ساداتهم يقتدون برأيه وينتهون إلى أمره، وأمّر ابنه مسلمة بن عبد الملك عليهم وطلب منه عندما يعزم على حرب عدوه أن يجعل عمه محمد بن مروان على ميمنته وابن عمه محمد بن عبد العزيز على ميسرته[١٣٣].

وبينما نجد معاوية يعتمد على قادة متعددين ينتمون إلى قبائل مختلفة لقيادة الصوائف والشواتي وفي قيادة الحملات الموجهة إلى أرمينية[١٣٤]، نرى أن النسبة الكبرى من ولاة الصوائف والشواتي ومن قادة الجبهة الشمالية كانوا من أمراء البيت الأموي الذين تتابعوا على جهاد الروم[١٣٥]، ويبدو أن خلفاء بني أمية كانوا يعلقون أهمية

---

(١٣٢) خليفة، ج ١ ص ٢٢٢، الدينوري، ص ١٧٢.

(١٣٣) ابن الأعثم، فتوح، ج ٧ ص ١٦٨، ١٦٩.

(١٣٤) تظهر في خلافة معاوية أسماء قواد كانت لهم مكانتهم، كعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، مالك بن هبيرة السكوني، فضالة بن عبيد، يزيد بن شجره الرهاوي، وسفيان بن عوف الازدي، وعبد الله بن قيس الفزاري (الطبري ج ٥ ص ٢٣٤، ٢٥٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٥، ٥٢٠.

(١٣٥) غزا محمد بن مروان والي الجزيرة الصائفة سنة ٧٣ ــ ٧٥ هـ وغزا الوليد بن عبد الملك سنة ٧٧ هـ، ولعبد الله بن عبد الملك بلاء مذكور في غزوة المصيصة من الثغور الشامية (الطبري ج ٦ ص ٣٨٥) وفي عهد الوليد بن عبد الملك غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم سنوات ٨٦ هـ ٨٧ هـ، ٨٨ هـ، ٨٩ هـ، ٩٠ هـ، ٩١ هـ، ٩٢ هـ، ٩٣ هـ (الطبري ج ٦ ص ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٢٢، ٤٥٤، ٤٦٨، ٤٦٩) ويذكر ابن العديم أن الوليد تولى الخلافة ومحمد بن مروان على ولايته فما زال كذلك حتى عزله الوليد سنة ٩٠ هـ وولى مكانه أخاه مسلمة، فدخل مسلمة حرّان وكان أكثر مقامه بالناعورة وبنى فيها قصرا بالحجر الأسود الصلد وحصنا بقي منه إلى عهد ابن العديم برج. وكذلك ظهرت في الغزوات الموجهة لأرض الروم أسماء العباس بن الوليد سنة ٨٨ هـ، ٨٩ هـ، ٩٠ هـ، ٩٣، ٩٤ هـ، ٩٥ هـ. وقد عمر مرعش وحصنها وكان يقطع إليها بعثا من أهل قنسرين سنويا، وعبد العزيز بن الوليد، (الطبري ج ٦ ص ٤٥٤) وعمر بن الوليد سنة ٩٢ هـ (ج ٦ ص ٤٦٨) ومروان بن الوليد (ج ٦ ص ٤٦٩).

كبيرة على هذه الحملات، ولذلك كانوا يسندون قيادتها لابنائهم، أو اخوتهم، لأنهم بعملهم هذا إنما يتابعون عملية الجهاد ضد أعداء المسلمين، كما أن هذه الحملات كانت تكسب الامراء هالة من المجد، بالإضافة إلى أن عملية الجهاد هذه كانت تمكنهم من أن تحافظ جيوشهم الشامية على ما تتمتع به من نظام وسجايا حربية، ومن ثم كانت هذه الجيوش مصدر قلق لاباطرة بيزنطة، نجد ذلك منعكسا فيما كتبه الامبراطور ليون في الكتيب الذي أصدره والذي زاد عليه فوكاس Nicephorus Phocas إذ يبين أن البيزنطيين في حروبهم لم يواجهوا عمليات حربية حصيفة ومحكمة ومدروسة بدقة كخطط العرب، وأن القائد المكلف بمواجهتهم كان يحتاج إلى كل قدراته الاستراتيجية والتكتيكية، كما أن الفرق التي يقودها يجب أن تكون انضباطية وجريئة، إذا أراد أن ينجح في صد العرب الكفرة[١٣٦].

ويرتبط بقضية الصوائف والشواتي على الأرض البيزنطية وضع نظام خاص لمعاملة الأسرى، ووسائل اطلاق سراحهم، ويقدم لنا المقدسي صورة عن حياة الأسرى المسلمين الذين أسرتهم الدولة البيزنطية، ويشير إلى أن مسلمة بن عبد الملك لما غزا بلاد الروم اشترط على ملك الروم أن يبني دارا بازاء قصره في الميدان ينزلها الوجوه والأشراف،

→

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك جهّز الجيوش إلى القسطنطينية سنة ٩٧ هـ واستعمل ابنه داود على الصائفة، وواصل مسلمة غزواته سنة ٩٦ هـ، ٩٨ هـ، وتوفي سليمان سنة ٩٩ هـ، وهو مرابط بدابق من أرض قنسرين. وفي خلافة هشام بن عبد الملك يبرز اسم معاوية بن هشام، سنة ١٠٧ هـ، ١٠٩، ١١١ هـ، ١١٢، ١١٣، ١١٤ هـ، ١١٦ هـ، ١١٧ هـ، (الطبري، ج٧ ص ٤٠، ٤٦، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ٨٨، ٩٢، ٩٣، ٩٩) تيوفانس، ترجمة ليوبولد Leopold Breyer ص ٤٦) بالإضافة إلى معاوية، قلد هشام كذلك أبناءه ابراهيم بن هشام، وسعيد بن هشام، وسليمان بن هشام. (الطبري، ج٧ ص ٤٣، ٩٩، ١٣٩) ويورد تيوفانس اسم سليمان بن هشام في غزوة سنة ١٢٢ هـ/٧٣٩م ويشير إلى أن الجيش ضم (٩٠) ألف مقاتل، عشرة آلاف من ذوي الأسلحة الخفيفة، وان البطال كان مع سليمان في هذه الغزوة مع (٢٠) ألف فارس وسليمان في (٦٠) ألفا، (تيوفانس ص ٤٨، ٤٩).

(١٣٦) Dr. Omar. A History of The Art of War, p.208.

Tactica XV111 120. «The Commander who has to meet them Will need all his stratigical ability, the troops must be well disciplined and courageous, if the barbarous and blaspheming Saracen is to be driven back».

إذا أسروا، ليكونوا تحت كنفه وتعاهده، فأجابه إلى ذلك فبنى دار البلاط[١٣٧]، ويضيف «ولا يسكن دار البلاط إلا وجيه في إجراء وتعاهد وتنزه، وسائر الأسرى من عامة المسلمين مستعبدون ويستعملون في الصنائع، فالحازم إذا سئل عن صنعته لم يقرّ بها وربما اتجر الأسارى بينهم وانتفعوا، وكان البيزنطيون لا يكرهون أحدا على أكل لحم الخنزير ولا يشقون لسانا[١٣٨]»، أي أن الدولة البيزنطية كانت تراعي مبادىء التعاليم الإسلامية في معاملتها للأسرى المسلمين فلم تكره أحدا على تناول لحم الخنزير أو أي شيء يخالف السنن الإسلامية، ولعلّ هذه المعاملة الجيدة التي حظي بها الأسرى المسلمون تعود إلى ماتمتعت به الدولة الأموية من مهابة وجلال وإلى حسن معاملتها للأسرى البيزنطيين.

أما نظام الفداء فلم يظهر بشكل واضح إلا في عهد الدولة العباسية، ويذكر المقريزي أن أول فداء وقع بمال في الإسلام كان أيام بني العباس ولم يقع في أيام بني أمية فداء مشهور، وإنما كان ينادى بالنفر بعد النفر في سواحل الشام ومصر وبلاد ملاطية وبقية الثغور الجزرية، إلى أن كانت خلافة هارون الرشيد[١٣٩]، والروايات القليلة المتعلقة بالفداء في العصر الأموي تعود كلها إلى خلافة عمر بن عبد العزيز، إذ يذكر ابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز أرسل شخصا ليفادى الأسارى صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وحرهم ومملوكهم بما سئل عنه[١٤٠] بمعنى أنه قرر مفاداتهم بالمال، كما أنه ورد في طبقات ابن سعد أن عمر أعطى برجل من المسلمين عشرة من الروم وأخذ المسلم[١٤١]، وكان عمر بن عبد العزيز يقبل فدية الأسير من أسرى العدو بالمال، فعن محمد بن عمر عن ابراهيم بن عبد الله... عن عمر بن عبد العزيز، أنه أتي بأسير أسره مسلمة بن عبد الملك، وأن أهله سألوه أن يفتدوه بمائة مثقال، فرده عمر

---

(١٣٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دمشق ١٩٨٠، ص ١٣٨.

(١٣٨) المقدسي، المصدر السابق، ص ١٣٩، ابن رستة، الاعلاق النفيسة، طبعة ليدن ١٨٩١م ص ١٢٢، ١٢٣.

(١٣٩) المقريزي، الخطط، ج ٣ ص ٦.

(١٤٠) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤٠.

(١٤١) ابن سعد، الطبقات، ج ٥ ص ٣٦٠.

وفداه بمائة مثقال[١٤٢]، وعندما أغار الروم على ساحل اللاذقية في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ وهدموا مدينتها وسبوا أهلها أمر عمر ببنائها وتحصينها، ووجّه إلى امبراطور الروم في فداء من أسر من المسلمين[١٤٣].

أما في العصر العباسي، فان كلا من الدولتين العباسية والبيزنطية قد حرصتا على سلامة كبار رجال الدولة الذين وقعوا أسرى في أيديهما ليبادلانهم بكبار رجال دولتيهما، وكان هناك مكان خاص على شاطيء آسيا الصغرى يسمّى اللامش[١٤٤]، وكان يسبق حركة التبادل ايفاد سفارات يشترك فيها عمال الثغور لتقرير أسس الفداء، ويتضح أن تبادل الأسرى كان يجرى طبقا لقواعد مرسومة ونظم خاصة[١٤٥].

الأسلحة ووسائل الدفاع والتحصين في الشام

عندما انطلقت جيوش الفتح العربية لم يكن مقاتلتها على مستوى واحد من حيث الآلة والسلاح، كما أن بعض الأسلحة التي استخدمها العرب كانت دون مستوى أسلحة الأعداء، فقد شبه الفرس نبال المسلمين يوم القادسية بالمغازل استهانة بها[١٤٦]، كما أن المقاتلة المسلمين الذين استخدموا الدرق أو الحجف كانوا قلة[١٤٧] إذ أن عامتهم كانوا يترسون بأشياء مختلفة حسب درجاتهم في اليسار والفقر، يقول الطبري: «وما عامة جننهم غير براذع الرحال قد عرّضوا فيها الجريد يترسون بها عن أنفسهم، وما عامة ماوضعوه على رؤوسهم إلا أنساع الرحال يطوى الرجل نسع رحله

(١٤٢) المصدر السابق، ج ٥ ص ٣٦٠.
(١٤٣) البلاذري، فتوح، ص ١٣٩.
(١٤٤) المقريزى، الخطط، ج ٣ ص ٦.
(١٤٥) المصدر السابق، ج ٣ ص ٦ ــ ٨.
(١٤٦) الطبري، ج ٣ ص ٤٩٦، البلاذري، فتوح، ص ٢٦٠.
(١٤٧) الدرق والحجف جمع درقة، وجحفه وهي كما في الافصاح، والقاموس المحيط ترس من جلد الابل أو البقر ليس فيها خشب ولا سيور من الجلد أو العصب، ولكن ورد في شرح البخارى مايفيد أن الدرقة زمن الرسول (صلعم) كانت تصنع من الخشب ثم تلصق عليها جلدة مساوية (القسطلاني، ارشاد السارى، ج ٥ ص ١٠٥) وهذا الشرح أدق إذ أن الجلد لايثبت وحده أمام طعنات السلاح إلا إذا كان مستنداً إلى جريد أو خشب يقوّيه.

على رأسه يتقي به، والفرس فيما بينهم بالحديد واليلامق[١٤٨]، وعندما حاصر المسلمون حمص بقيادة أبي عبيدة وخالد بن الوليد استمر الحصار طويلا، إذ تمسك القوم بالمدينة رجاء أن يهلكم الشتاء، وكان أهل حمص يتواصون فيما بينهم ويقولون: «تمسّكوا فانهم حفاة فإذا أصابهم البرد تقطّعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون[١٤٩]»، بينما كان فرسان الروم يلبسون في أرجلهم أحذية حديدية طويلة، أما سواعدهم فكانت محصنة وأما أعضادهم فكان الكثير منهم يقيها بسوار ضيق من المعدن[١٥٠]، إذا فقد شاهد المسلمون أعداءهم يحصنّون أطرافهم بالحديد، ولاشك في أنهم غنموا دروعا كثيرة من الفرس والروم[١٥١]، ومن الطبيعي أن يعمدوا إلى تقليدهم، وقد كثرت الأموال بين أيديهم، وما هم أقل منهم في أية ناحية من النواحي الحربية، ونجح معاوية خلال ولايته على الشام أن يكّون جيشا منظما مدربا نتيجة للقّاءات المستمرة مع الامبراطورية البيزنطية لاسيما وأن معاوية ومن أتى بعده اتخذوا الجيوش البيزنطية كنموذج لقواتهم في السلاح والاستراتيجية[١٥٢]، ولذلك فان جيش معاوية في صفين كان مجهزا تجهيزا كاملا حتى أطلق عليه اسم الخضرية لاسوداده بالدروع والسلاح[١٥٣]، بينما لم

---

(١٤٨) الطبري، ج ٣، ص ٥٧٥.

(١٤٩) الطبري، ج ٣، ص ٦٠٠.

(١٥٠) Dr. Omar, Op. Cit., pp. 80, 90, 91.

(١٥١) الطبري، ج ٤ ص ٨.

(١٥٢) Dr. Omar. Op. Cit., P. 208. Tactica XVIII; 120.

كان البيزنطيون يعتمدون في حروبهم بالدرجة الأولى على فرق الخيالة الثقيلة السلاح التي يلبس أفرادها الخوذ الفولاذية والدروع المصفحة Scale Armour أو الدروع المزرّدة Coat of mail التي تغطي الجسم كله، وكانت أسلحتهم السيف والخنجر والرمح والنبل، أما خيولهم فكانت تحميها أطواق الصدر Breast Plates، وصفائح الجبهة Frontal Plates وتستخدم فرق الخيالة الخفيفة للهجوم السريع للاستطلاع ولارهاق العدو ومضايقته، وكان سلاح أفرادها الرئيسي النبال، أما المشاة ذو الأسلحة الخفيفة فكانوا يستخدمون النبال كذلك ولكن وجدت فرق تستخدم الرماح، بينما يستخدم المشاة ذوو الأسلحة الثقيلة الدروع المزّردة ويحملون الرماح والسيوف والتروس.

Wilhelm Ensslin, The Army and The Fleet, Byzantium, pp. 301-302.

(١٥٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣ ص ٣٣٧، المسعودي، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٨٠، ٣٨٨، ويذكر المسعودي أن ميمنة معاوية كانت تضم ١٠ آلاف من مذحج وعشرين ألفا مقنعين بالحديد، وكان العرب يطلقون على الكتيبة المغطاة بالحديد، كتيبة خضراء (الطبري ج ٣ ص ٥٤).

يكن مقاتلة الخليفة علي بن أبي طالب على هذا المستوى، نستنتج ذلك من قول علي يحرّض أصحابه بأن يسووا صفوفهم كالبنيان المرصوص، وأن يقدّموا الدارع ويؤخروا الحاسر[١٥٤]، وكان سفيان بن عوف الأزدي في خلافة معاوية لا يجيز في العرض إلا رجلا بفرس ورمح ومخصف[١٥٥] ومسلة وترس وخيوط كتان ومخلاة ومبضع ومقود وسكة حديد[١٥٦]. وعندما أرسل مروان بن محمد عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى إلى المدينة لقتال حمزة الخارجي قدمها في أربعة آلاف فارس عربي منهم من عليه درعان أو درع وسنوّر وتجافيف عدة لم ير مثلها في ذلك الزمان[١٥٧]، وإذا رأينا الامبراطور ليون يعترف بالرغم مما عرف عنه من تحامل على العرب بأن الجندي العربي لم يكن يفترق عن الجندي البيزنطي في السلاح ووسائل الدفاع وآلاته[١٥٨]، نتبين مدى التقدم السريع الذي أحرزه المسلمون ولاسيما مقاتلة الشام.

لم ينحصر هذا التقدم في الأسلحة الخفيفة التي يستخدمها الجندي فقط ووسائل الدفاع من ترس ودرع ومغفر وبيضة، وإنما في الأسلحة الثقيلة التي يشترك في استخدامها أكثر من جندي. يذكر ابن هشام في كلامه عن غزوة الطائف أن أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق هو الرسول (صلعم) رمى به أهل الطائف[١٥٩]، كما يرد عند ابن هشام والطبري أن عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة لم يشهدا حنينا ولا حصار الطائف لأنهما كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابة والمجانيق والضبور[١٦٠]،

---

(١٥٤) ابن الأثير، ج ٣ ص ٢٩٧.

(١٥٥) المخصف، مخرز الاسكاف والجمع مخاصيف.

(١٥٦) تهذيب، ج ٦ ص ١٨٥.

(١٥٧) الطبري، ج ٧ ص ٣٩٩.

(١٥٨) Von Kremer. The Orient under the Caliphs. p. 328.

Dr. Omar. Op Cit., pp. 208-209.

(١٥٩) ابن هشام، السيرة، ج ٤ ص ٩٤.

(١٦٠) المصدر السابق، ج ٤ ص ٩٠، الطبري، ج ٣، ص ٨١، ٨٢. الدبابة والضبور، اسم الدبابة لغة مشتق من (دب يدب دبيبا إذا مشى على مهل) وسميت بذلك لأنها تدب حتى تصل إلى الحصون، ثم يعمل الرجال الذين بداخلها في ثقب أسوارها بآلات الحفر. ويظهر أن الضبر نوع منها، أو هي الدبابة نفسها من ترادف الأسماء، ففي القاموس المحيط، أن الضبر جلد يغشى خشبا فيه رجال تقترب إلى الحصون للقتال، والجمع ضبور، وليست الدبابة شيئاً غير هذا. ويبين صاحب آثار الأول (ص

وإذا علمنا أن جرش من أرض البلقاء، والبلقاء من عمل دمشق، وأن هذه المنطقة كانت تحت الحكم البيزنطي، فمن الجائز أن يكون العرب قد نقلوا هذا السلاح عن البيزنطيين. ويرى فون كريمر أن العرب نقلوا عن البيزنطيين استعمال المنجنيق والعرّادة لرمي الكتل الصخرية، ويوافقه في هذا الرأي الدكتور أومار Omar[١٦١].

اضطر المقاتلة في الشام إلى استخدام المنجنيق عند حصارهم للمدن المحصنة، فقد حصر المسلمون دمشق سبعين ليلة حصارا شديدا بالزحوف والترامي والمجانيق[١٦٢]، وأغار مقاتلة أهل الشام على أطراف صقلية في ولاية معاوية وأخرجوا مجانيق كانت معهم فنصبوها على حصونهم ورموها رميا متداركا، إلا أن الحجارة التي استخدمت كانت معتدلة[١٦٣]. واستمر استخدام الحجارة سواء عندما حاصر عبد الملك قرقيسيا في طريقه لقتال مصعب بن الزبير[١٦٤]، أو في حصار مكة عندما توجه الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير[١٦٥]. وحتى مروان بن محمد الذي استخدم المنجنيق على نطاق واسع استعمل الحجارة فقط، إذ عندما حاصر مروان أهل حمص سنة ١٢٧ هـ نصب عليها كما تذكر الرواية نيفا وثمانين منجنيقا وأنه طرح عليهم حجارتها بالليل والنهار[١٦٦]، ولكن مسلمة بن عبد الملك عندما هاجم مدينة الباب والأبواب حاصرهم ورماهم بالحجارة ثم بحديد اتخذه على هيئة الحجارة[١٦٧]. تجاه هذه الروايات نتساءل عن مدى الدقة فيما يرويه المسعودى عندما يذكر أن الحصين بن نمير السكوني رمى الكعبة بالأحجار والنار والنفط ومشاقات الكتان[١٦٨]، فهل نسب المسعودى إلى

---

٢١٤) ان الدبابة آلة تتخذ من الخشب الثخين الملزز وتغلف باللبود أو الجلود المنقعة في الخل لدفع النار وتركب على عجل مستدير وتحرك وربما جعلت برجا من خشب ودبر فيها هذا التدبير، وقد يدفعها الرجال فتندفع على بكر.

(١٦١) Von Kremer. Op. Cit., P. 327, Omar, Op, Cit., P. 219.

(١٦٢) الطبري، ج ٣ ص ٤٣٨، ابن الأثير ج ٢ ص ٤٢٨.

(١٦٣) ابن الأعثم، فتوح، ج ٢ ص ١٤٣.

(١٦٤) المصدر السابق، ج ٦ ص ٢٦٢.

(١٦٥) الطبري، ج ٦ ص ١٨.

(١٦٦) المصدر السابق، ج ٧ ص ٣٢٦، ابن الأثير، ج ٥ ص ٣٣٣.

(١٦٧) البلاذري، فتوح، ص ٢٠٩.

(١٦٨) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣ ص ٧١.

فترة يزيد ما حدث في وقت متأخر بعض الشيء لكي يعلل بذلك احتراق الكعبة التي يقال انها احترقت أثناء الحصار[١٦٩]؟.

مهما يكن من أمر، فان الاشارات إلى استخدام المنجنيق وبأعداد كبيرة لايمكن أن تتوافر في الجيش مالم يكن لديه دار لصناعتها، وفرق تقوم على تجهيزها واعداد القذائف لها والعمل على صيانتها وحفظها سليمة صالحة للاستعمال.

إلى جانب آلات الهجوم لابد من أن نشير إلى وسائل الدفاع الثابتة التي كانت تستخدم وعلى نطاق واسع كالخندقة وبناء الحصون والأسوار، وأول من استخدم الخنادق في خلافة أبي بكر وأكثر منها العلاء بن الحضرمي أثناء قتاله المرتدين، فكان المسلمون والمرتدون هناك يحفرون الخنادق يتحصنون بها ثم يتراوحون القتال منها[١٧٠].

وفي أثناء الفتوح، كان الخلفاء ينصحون قوادهم بالتزام الخنادق خشية البيات، كما أنهم إذا حاصروا عدوا مخندقا على نفسه وأرادوا اشعاره بدوام الحصار ضربوا خندقا حول خندقه ليأس من فك الحصار ويبادر بالتسليم، وقد طبقت هذه الخطة في حصار مدينة هيت ليجبروهم على التسليم[١٧١]، ومن القواد الذين عرفوا بالتزام الخندقة في الميدان المهلّب بن أبي صفرة في حربه للخوارج، «وكان المهلّب شديد الاحتياط والحذر لاينزل إلاّ في خندقه وهو على تعبية ويتولى الحرس بنفسه[١٧٢]». وفي الحرب بين الحجاج وابن الأشعث خندق الحجاج على نفسه بالزاوية، وخندق عبد الرحمن على البصرة[١٧٣]، وخندق مسلمة بن عبد الملك في قتاله ليزيد بن المهلّب[١٧٤]. ومع استخدام الخنادق كان لابد من التفكير في وسيلة لاقتحامها، ففي موقعة الأحزاب

---

(١٦٩) من أجل تعليل احتراق الكعبة يمكن العودة إلى كتاب الدكتور نبيه عاقل، خلافة بني أمية، ص ١١٤ــ١١٥.

(١٧٠) الطبري، ج ٣ ص ٣٠٨، ابن الأثير ج ٢ ص ١٥٥.

(١٧١) الطبري، ج ٤ ص ٣٨.

(١٧٢) ابن الأثير، ج ٤ ص ١٩٧، ١٩٨، ٣٨٨.

(١٧٣) المصدر السابق، ج ٤ ص ٤٦٥.

(١٧٤) المصدر السابق، ج ٥ ص ٨٠.

كانت محاولات قريش لاقتحام الخندق الذي حفره الرسول بدائية، فكان أبطال قريش يدورون حوله يحاولون اقتحام الخندق، من أضيق أماكنه، ولم يفكر أحدهم في العمل على ردم جزء منه وعبوره لأنه كان مكيدة غريبة عليهم لم يألفوها، فلما فتح المسلمون الأقطار بعد الرسول أكثروا من استخدام الخنادق مهاجمين ومدافعين، ففتحت أمامهم سبل الحيل ولعل خالد بن الوليد أول من عمد إلى قتل الابل المسنة ورميها مع رحالها في أضيق مكان منه أثناء فتح الأنبار[١٧٥]، وفي حصار دمشق قطع المقاتلة الخندق وعلى ظهورهم القرب[١٧٦]، وعندما خندق مسلمة بن عبد الملك فكّر يزيد بن المهلّب أن يرسل مع محمد بن المهلّب من يدفن خندق مسلمة بالبراذع والأكف والزّبل[١٧٧].

وتطور عبور الخنادق بسرعة بعد ذلك، ففي سنة ١٤٥ هـ عندما خرج محمد ابن عبد الله المحض بالمدينة أعاد حفر خندق الرسول حولها وبنى عليه جدارا من جهة العدو، وأوقف عليه حراسا من أصحابه يدافعون عنه، فلما جاءت القوات العباسية بقيادة عيسى بن موسى، تقدّم بعض قواد عيسى إلى جداره في مائة من جنده فهدموه، وانتهوا إلى الخندق، فنصبوا عليه أبوابا خشبية ثم عبروه، وفي رواية ثانية أنهم طرحوا حقائب الابل في الخندق ثم طرحوا أبوابا خشبية بقدر الخندق فجازت الخيل[١٧٨].

الحصون والأسوار

كان عامة العرب في الجاهلية رحّلا أهل بداوة لايعرفون الحصون أو الاحتماء بالأسوار، وإنما حصونهم ظهور خيولهم وشفرات سيوفهم، وقد عرف الحصون منهم أهل الحيرة لمجاورتهم الفرس، وأهل الشام لمجاورتهم الروم، وعرفها أهل الحجاز عن طريقين بعد ذلك، عن طريق رحلتهم إلى اليمن ذات القصور الشاهقة، وعن طريق اليهود الذين نزحوا إليها من الشام بعد أن طردهم الرومان منها، فأدخلوا إليها نظام الأطام والحصون، وأدّى احتكاك المسلمين بقوات الروم إلى تزايد ادراكهم لأهمية الحصون

(١٧٥) الطبري، ج ٣ ص ٣٧٤.
(١٧٦) المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٣٩.
(١٧٧) ابن الأثير، ج ٥ ص ٨٠.
(١٧٨) الطبري، ج ٧ ص ٥٩٠.

لاسيما أنهم، كما يقول كريزول Creswell، في انطلاقهم للفتح، قد اتبعوا خطا يكاد يتفق مع خط الحجاز الحديدي في العصر الحديث، وكانت هذه الجيوش في طريقها تمر بسلسلة من قلاع الحدود الرومانية[١٧٩]، التي كانت تمتد من خليج العقبة إلى دمشق، ومن دمشق إلى تدمر، وقد وصف هذه الحصون كل من برونو Brunow ودومازيفسكي Domazewski في كتابهما القيم Die Provincie Arabie، وأشهر هذه القلاع قلعة أذرع التي بناها تراجان، ويظهر أن تراجان بنى كذلك القلاع في اللجون والدّجانية Dejaniya وقلعة بشير التي تعود إلى عهد ديوكليسيان (٢٨٤ــ٣٠٥م) وقلعة الضمير التي تعود إلى ١٦٢م. كما أن بعض الأمراء الأمويين قد عاشوا في بعض قلاع الحدود الرومانية، فالوليد الثاني كان يقيم أحيانا في حصن الأزرق الذي تم تجديده بعد ذلك سنة ٦٣٤ هـ/١٢٣٦م، وكان في أيام الوليد قلعة رومانية، وعندما هوجم الوليد من قوات يزيد الثالث كان في حصن البخراء الذي هو اسم عربي لقلعة رومانية تقع على بعد (١٥) ميلا إلى الجنوب الغربي من تدمر[١٨٠]. وفي قلب الصحراء وعلى مسيرة (٢٠) ميلا شرقي الزرقاء كانت هناك قلعة رومانية تعرف بتسميتها الحديثة بقصر الحلاّبات، وقد بدأ بتشييدها كراكلا سنة ٢١٣/٢١٧م وأتمها جستنيان سنة ٥٢٩م، وعلى بعد ١٥ ياردة من ركنها الجنوبي الشرقي يوجد مسجد صغير يرجع إلى النصف الأول من القرن الثامن الميلادي، وقد بناه ولا شك أحد أمراء بني أمية الذي أقام في القلعة المجاورة، وكانت النتيجة كما يقول كريزول مزدوجة، فقد أعطت هذه الخبرة بالحصون الرومانية خلفاء بني أمية المعرفة الضرورية لبناء قلاعهم على الحدود البيزنطية، كما أنها أثّرت على طراز بنائهم لقصورهم[١٨١].

حظيت الثغور الشامية والجزرية باهتمام الخلفاء الأمويين، وكانت ثغور المسلمين الشامية أيام عمر وعثمان وما بعد ذلك أنطاكية وغيرها من المدن التي سمّاها الرشيد

---

(١٧٩) Creswell, K.A.C. The Castra of The Roman Limes, Fortification in Islam, From the Proceedings of the British Academy, 1952- Vol. XXXVII London, 1952, p.89.

(١٨٠) Ibid., p.89.

(١٨١) Ibid., p.90.

عواصم[١٨٢]، وهي كورة قورس والجومة ومنبج وأنطاكية وبالس والرصافة، رصافة هشام، وكانت دابق هي القاعدة الرئيسية العسكرية في الداخل في العصر الأموي[١٨٣]، ثم أصبحت منبج هي مركز المنطقة التي أطلق عليها الرشيد اسم العواصم[١٨٤]، أما في الساحل فقد كانت أنطاكية هي المركز الرئيسي[١٨٥].

لم يهتم الخلفاء الراشدون ببناء الحصون أو مدن ثغرية شمالي الشام وراء أنطاكية، إنما بدأ الاهتمام في عهد بني أمية وخاصة في خلافة هشام بن عبد الملك، حتى أنه لم ينته عصر بني أمية حتى كان نظام التحصين البرى قد استكمل معالمه[١٨٦].

اهتم معاوية منذ أن كان واليا على الشام والجزيرة بمنطقة الثغور، فتعهد حصون مرعش والحدث[١٨٧]، واهتم بمنطقة منبج وبنى لها جسرا لمرور الصوائف إلى الأراضي البيزنطية منذ عهد عثمان. فلما توفي معاوية سنة ٦٠ هـ اضطر يزيد إلى توجيه اهتمامه إلى توطيد الكيان الداخلي، فاستغل البيزنطيون ذلك الوضع الداخلي للدولة الأموية وكثرت غاراتهم على الثغور وحاصروا مرعش التي تركها أهلها بسبب الضغط البيزنطي عليها[١٨٨]. كما هدد الروم ملطية في فترة الاضطراب السياسي[١٨٩]، مما دفع عبد الملك بمجرد أن قضى على منافسيه إلى أن يتخذ اجراءات سريعة وجريئة واستراتيجية، فاختار مواضع متقدمة في الأراضي البيزنطية تحل محل مرعش وملطية، وهي طرندة والمصيّصة، وقد بنى عبد الله بن عبد الملك ملطية سنة ٨٣ هـ[١٩٠]. كما أنه خرج سنة ٨٤ هـ على

---

(١٨٢) البلاذري، فتوح، ص ١٦٨، ياقوت الحموي، ج ٢ ص ٨٠.

(١٨٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢ ص ٤١٦.

(١٨٤) المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٠٥.

(١٨٥) جون باجوت، الفتوحات العربية الكبرى، ترجمة خيري حماد، بيروت ص ٦٢٩.

(١٨٦) د. محمد عبد الهادي شعيرة، المرابطون في الثغور الإسلامية الرومية، بحث في كتاب إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين. ص ٤٣٢.

(١٨٧) البلاذري، فتوح، ص ١٩٢، ١٩٣.

(١٨٨) المصدر السابق، ص ١٩٢.

(١٨٩) المصدر السابق، ص ٨٩.

(١٩٠) البلاذري، ص ١٨٩.

الصائفة فابتنى المصيّصة وبنى حصنها على أساسه القديم ووضع بها سكانا من الجند منهم ثلثمائة رجل انتخبهم من ذوي البأس والنجدة[١٩١]، ومنذ أن بنيت المصيّصة كانت الطوالع من أنطاكية تطلع عليها في كل عام فتشتوا ثم تنصرف[١٩٢]، فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك أحاط المصيّصة بثلاثة حصون، هي حصن الربض[١٩٣]، ثم حصن المثقّب بناه حسان بن ماهويه الأنطاكي[١٩٤]، وحصن قطر غاش[١٩٥].

كذلك اهتم هشام بالطريق الداخلي الموصل بين أنطاكية والمصيّصة فبنى حصن مورة وحصن بغراس وحصن بوقا من عمل أنطاكية[١٩٦]. واهتم هشام بن عبد الملك بأمر ملطية عندما هاجمها الروم سنة ١٢٣ هـ فأرسل خيلا مع الرسول الذي خرج من ملطية مستغيثا وهو بالرصافة، ثم غزا هشام بنفسه ونزل ملطية وعسكر عليها حتى بنيت[١٩٧]، وفي سنة ١٢٥ هـ أعاد الوليد بن يزيد بناء حصن زبطرة، وكان هذا الحصن قد خرّبه البيزنطيون فاحتاج الأمر إلى إعادة بنائه[١٩٨]. وفي عهد مروان بن محمد تركز الاهتمام كذلك بالمصيّصة فبنى حصن الخصوص شرقي جيحان[١٩٩]، وحصن منصور بن جعونه بن الحارث العامري الذي تولى بناءه وأقام فيه مع جند كثيف من أهل الشام والجزيرة ليردّ العدو[٢٠٠].

البحرية

أدرك معاوية، منذ أن كان واليا على جند دمشق والأردن في خلافة عمر بن

---

(١٩١) المصدر السابق، ص ١٦٩، النويري، نهاية الأرب، ج ٢١ ص ٢٠٤.

(١٩٢) البلاذري، فتوح ص ١٦٩.

(١٩٣) المصدر السابق، ص ١٧٠.

(١٩٤) المصدر السابق، ص ١٧١، ياقوت الحموي، ج ٥ ص ٥٤، وهو حصن على ساحل البحر قرب المصيصة.

(١٩٥) المصدر السابق، ص ١٧١.

(١٩٦) المصدر السابق، ص ١٧١.

(١٩٧) المصدر السابق، ص ١٩٠.

(١٩٨) المصدر السابق، ص ١٩٥.

(١٩٩) المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٢٠٠) المصدر السابق، ص ١٩٦.

الخطاب ، الخطر الذي يلوح في الأفق مهددا الشام بسبب وجود آسطول الروم قريبا من شواطئه ، وافتقاره إلى وسائل الدفاع ، ذلك أن معاوية كان قد اشترك في فتح كثير من المدن الساحلية التي قاومت مقاومة عنيفة نتيجة لتلقيها الامداد والمؤن من دولة الروم ، وهذا ماضمن لها البقاء والمقاومة فترة أطول[٢٠١] .

وقد نهج العرب في البدء سياسة بحرية دفاعية بوضع حاميات قوية في المدن الساحلية الهامة مثل اللاذقية وطرابلس وصور وصيدا وعرقه وجبيل على الساحل الشامي[٢٠٢] ، وفي مرمة حصونها وإقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها[٢٠٣] . ولكن إثر غارة الروم على الشام ومصر سنة ٢٥ هـ والتي كانت من أشد الغارات عنفا[٢٠٤] ، تبين أن السياسة البحرية الدفاعية لم تعد كفيلة بالمحافظة على سلامة ممتلكاتهم وأنه لابد للعرب من الهجوم على قبرص والاستيلاء عليها ، لأنهم إذا نجحوا في ذلك أمكنهم أن يتصدوا للأساطيل البيزنطية قبل اقترابها من الساحل الشامي ، فلما سمح عثمان لمعاوية بغزوها كتب إلى أهل الساحل يأمرهم باصلاح المراكب وتقريبها إلى ساحل حصن عكا[٢٠٥] . وكانت هذه خطوة معاوية الأولى ، إذ لم يلبث أن استولى المسلمون على أرواد Aradus[٢٠٦] ثم في عام ٣٥ هـ/٦٥٥ م أي بعد مرور أقل من عشرين عاما على نزول العرب لأول مرة إلى الشواطيء الشرقية للبحر المتوسط ، عقد لواء النصر للعرب في الموقعة البحرية الكبيرة ، ذات الصوارى . وكان خوض معركة كهذه يتطلب عدة أمور ، قواعد بحرية ، وتشمل الأحواض وأماكن بناء السفن ومواد البناء ومهرة البنائين ، ثم السفن الحربية وما يتبعها من ملاحين مدّربين وجنود بحريين وضباط . وكانت الاسكندرية قاعدة بحرية كاملة تشتمل على ميناء رائع ، وأحواض

---

(٢٠١) Ostrogorsky. Op. Cit., P.104.

(٢٠٢) هناك أمثلة كثيرة في البلاذري عن هذه السياسة الدفاعية ، فتوح ، ص ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ .

(٢٠٣) البلاذري ، فتوح ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢٠٤) Bury, A History of the Later Roman Empire, Vol. II p.288

(٢٠٥) ابن الأعثم ، فتوح ، ج ٢ ص ١١٨ .

(٢٠٦) جورج فضلو حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة د . يعقوب بكر ، دار الكتاب ، القاهرة ، ص ١٨١ .

متسعة لبناء السفن وبنائين من الاقباط[٢٠٧]، ولم يكن ينقص سوى الخشب الجيد الذي تفتقر إليه مصر، فلم يكن بد من جلبه من الشام أو غيرها من المناطق، وكانت موانيء الشام ولاسيما عكا وصور قواعد بحرية أبحر منها جزء من الأسطول الذي اشترك في ذات الصوارى[٢٠٨]. ولكن الساحل الشامي كان في ذلك الوقت عاطلا من بناء السفن، فلما كانت سنة ٤٩ هـ وشنّ الروم غارة عنيفة على سواحل الشام، عمد معاوية إلى انشاء دور لصناعة السفن بالشام نفسها إلى جانب دور الصناعة بمصر، لأن صناعة السفن كما يقول البلاذري كانت بمصر فقط[٢٠٩]. وقد فعل معاوية ذلك لكي يجد لديه أساطيل على أهبة الاستعداد، فجلب الصنّاع والنجارين إلى عكا من جند الأردن التي وقع اختياره عليها لينشيء بها أول دار لصناعة السفن بالشام[٢١٠]. وبقيت دور الصناعة في عكا حتى خلافة هشام بن عبد الملك الذي نقلها إلى صور[٢١١]، ولكن التعاون بين مصر والشام بقي مستمرا سواء في استخدام الأقباط كملاّحين في سفن الشام أو في استيراد الأخشاب التي تصلح لبناء السفن من الشام. ويظهر أن بناء السفن بمصر بالرغم من انشاء دار للصناعة في الشام، كان له شأن عظيم في العصر الأموي، فقد ألقت أوراق بردى أفروديتو Aphrodito ٧١٠ م/٩٢ هـ (وهي كوم أشقاو أو أشقوة[٢١٢]) شعاعا من النور على صناعة السفن في مصر، وأظهرت مهارة المصريين في تلك الصناعة ومهارة الملاحين المصريين وتقدير الحكومة المركزية لتلك المهارة، ومدى استغلالها على يد الأمراء المسلمين، كما أنها تدل على أن

---

(٢٠٧) المرجع السابق، ص ١٨٢، وقد تخصص الأقباط في سد ثغرات واستخدام المسامير الحديدية في بنائها، وقد ثبت أن السفن التي تستخدم المسامير في تثبيت ألواحها أفضل من السفن التي تشد بالحبال (هو نيرباخ، فلهلم، البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط، تطوان ١٩٥٤) عن تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، د. أحمد مختار العبادي، د. السيد عبد العزيز سالم، طبعة ١٩٧٢، ص ٦.

(٢٠٨) ابن الأعثم، فتوح، ج ٢ ص ١٢٨.

(٢٠٩) البلاذري، فتوح، ص ١٢٤.

(٢١٠) المصدر السابق، ص ١٢٤.

(٢١١) المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٢١٢) جورج حوراني، المرجع السابق، ص ١٨٤، وكوم أشقوه على بعد نحو سبعة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من طما في صعيد مصر.

القبط كانوا يجندون في صعيد مصر للعمل في أحواض السفن بالاسكندرية والاشتراك في الغارات السنوية Koursa بل انهم كانوا يرسلون للعمل في الأساطيل التي تتخذ قواعدها في الشام[٢١٣].

نتيجة لاهتمام معاوية بالأسطول وبالسيطرة على عدد من الجزر استطاع سنة ٥٣هـ/٦٧٢م قسم من أسطوله أن يحتل ازمير، وأن يحتل قسم آخر شواطىء ليسيا Lycia وكيليكيا. وفي سنة ٥٥ هـ/٦٧٤م بدأ حصار القسطنطينية برا وبحرا، واستمر هذا الحصار مدة أربع سنوات كانت قطع الأسطول العربي خلالها تنسحب في الخريف إلى سيزيكس لتعاود الكرة في الربيع، وقرّر معاوية سنة ٥٦ هـ/٦٧٨م سحب قواته المحاصرة للقسطنطينية لشعوره بدنو أجله، وبأن بيعة يزيد ستلقى معارضة الكثيرين[٢١٤].

ولكي نأخذ فكرة عن مدى التقدم الذي أحرزه الأمويون في سياستهم البحرية يكفي أن نذكر بأن الأسطول العربي الذي توجه في خلافة سليمان بن عبد الملك لدعم القوات البرية ولاحكام الحصار على القسطنطينية برا وبحرا كان يتألف من (١٨٠٠) سفينة فيها سفن حربية Kampf Schiffen وسفن لنقل المؤن Proviant Schiffen[٢١٥] أصغر حجما ولكنها كانت تضم (١٠٠) من المقاتلين المسلحين تسليحا ثقيلا، وكان حصار المسلمين للقسطنطينية حصارا قاسيا شديدا نتيجة للثلوج التي هطلت مدة مائة يوم في تراقيا مما عرقل عملية الحصار، واضطر المسلمون إلى تحمل الكثير من المشاق والجهد[٢١٦]. وفي الربيع وصلت نجدات برية وبحرية لمسلمة بن عبد الملك، فقد وصل أسطول من مصر يتألف من (٤٠٠) سفينة، ويتألف كذلك من سفن حربية وأخرى لنقل المؤن، ووصل أسطول آخر من أفريقية مؤلف من ٣٦٠

---

(٢١٣) المرجع السابق، ص ١٨٤.

(٢١٤) نبيه عاقل، خلافة بني أمية، ص ٨٨.

(٢١٥) Theophanes. Tr. by Leopold Breyer p.27.

(٢١٦) Ibid., p.28.

سفينة محملة بالأسلحة والمؤن، إلا أن معظم هذه السفن، كما يقول تيوفانس، دمّرت نتيجة لاستخدام البيزنطيين للنار الاغريقية[٢١٧].

هذا ويجب أن نشير إلى أنه بالرغم من وجود أسطول لدى البيزنطيين، إلا أنه لم يكن يلعب إلا دوراً ثانوياً في العمليات الحربية[٢١٨] في الفترة السابقة للفتوح الإسلامية، وكان سكان سواحل البحر المتوسط الشرقية هم الذين يظهرون تفوقهم في هذا المجال، فلما لاحق معاوية القوات الامبراطورية بحرا وظهر أمام أسوار القسطنطينية، بدأ انتباه البيزنطيين بشكل جدى لأهمية الأسطول وضرورة العناية به كقوة حربية وأصبحت المقاطعات الساحلية في آسيا الصغرى، والجزر الايجية، تمد الأسطول بالسفن والرجال، وكانت المقاطعات البحرية الأساسية هي بند الكبير هايوت Cibyrrhaeot نسبة إلى مدينة كيبيرا Cibyra في بامفيليا Pamphylia في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى، ثم جند الدوديكانير أو البحر الايجي Dodecanese[٢١٩]. وقل الاهتمام بالأسطول في عهد الأسرة الايسورية، فلما استولى الأندلسيون على كريت وظهرت قوة الأغالبة، عاد الاهتمام ثانية إلى الأساطيل البحرية الحربية، فظهر بند ساموس Samos غرب آسيا الصغرى، كبند بحري ثالث، وأصبحت هذه البنود كلها تحت قيادة قواد برتبة Strategoi، كما أوجدوا قواعد في البنود الأوروبية خاصة في Cephalonia[٢٢٠].

من الطبيعي أن يكون اعتماد العرب في الفترة المبكرة من نشاط أسطولهم على أقباط مصر، وسكان الشام القدامى الذين مهروا في ركوب البحار وتدربوا على فنون القتال[٢٢١]. وقد رأينا أن عثمان بن عفان عندما سمح لمعاوية بركوب البحر اشترط أن لا ينتخب بين الناس ولا يقرع بينهم وأن يخيرهم[٢٢٢]، ولكن كان على من تطوع وأخذ

---

(٢١٧) Ibid., p.28.

(٢١٨) Wilhelm Ensslin, The Army & The Fyzantium. p.304.

(٢١٩) Ibid., p.304.

(٢٢٠) Ibid., p.304.

(٢٢١) ابن الأعثم، فتوح، ج ٢ ص ١١٨، ١٢٩.

(٢٢٢) الطبري، ج ٤ ص ٢٦٠.

رزقه أن يلتحق[٢٢٣] . ويبدو أن معاوية اعتمد في بادىء الأمر على اليمانية في غزو البحر لتفوقهم على القبائل القيسية في هذا المجال ، والواقع أن عرب اليمن منذ عصر ما قبل الإسلام وحتى عصر الفتوح الإسلامية وان كانوا قد قطعوا كل اتصال لهم بالبحر وأهملوا شؤونه لانصرافهم إلى التجارة البرية ابان الغزوين الحبشي والفارسي لليمن ، فانهم لم يفقدوا تماما تقاليدهم البحرية التي اكتسبوها من خلال تاريخهم الطويل وتجاربهم الماضية في ممارسة الملاحة والطواف بسفنهم في البحر الحبشي أو الاريتري وترددهم على موانيء البحر العربي والمحيط الهندي ، فقد رسخت هذه التقاليد في كيانهم ، وظلت كامنة في أعماقهم ، إلى أن تهيأت لها ظروف مؤاتية للظهور منذ عصر الفتوحات ، فنشطت بعد خمول . ونلاحظ أن القادة البحريين الذين تجرأوا على قيادة حملات بحرية في خلافة عمر ابن الخطاب كانوا من اليمانيين ، فالعلاء بن الحضرمي الذي حمل أهل البحرين في البحر إلى فارس بغير إذن من عمر كان يمانيا حضرميا[٢٢٤] ، وعلقمة بن مجزر المدلجي صاحب الحملة البحرية إلى الحبشة سنة ٢٠ هـ كان يمني الأصل لخميا[٢٢٥] ، ومع ذلك نلاحظ أن المقاتلة العرب من اليمانية لم يكونوا متحمسين لغزو البحر ، نستنتج ذلك مما يرويه ابن عساكر من أن شاعر اليمن عندما رأى اعتماد معاوية على اليمانية في الغزو البحري قال :

ألا أيها القـــوم الذيـــن تجمعـــوا
بعكـــا أنـــاس أنتم أم أباعـــر
أنتـــرك قيساً آمـــنين بدارهـــم
ونـركب ظهـر البحـر والبحـر زاخـر

ويروى أن شاعر اليمن لما قال هذه الأبيات رجع قومه جميعا عن وجههم ، فلما بلغ معاوية ما كان منهم ، دعاهم فسكّن منهم ، وقال : « أنا أغزيكم في البحر لأنه أرفق

---

(٢٢٣) ابن الأعثم ، فتوح ، ج ٢ ص ١١٨ .
(٢٢٤) الطبري ، ج ٤ ، ص ٧٩ ــ ٨١ .
(٢٢٥) المصدر السابق ، ج ٤ ص ١١٢ .

من الجبل وأقل مؤونة، وأنا أعاقب بينكم في البر والبحر[٢٢٦]»، ثم فعل ذلك، أي أن معاوية وعد أن يعاقب بينهم في البر والبحر، أي لم تنشأ لدى الأمويين في هذه الفترة فرق خاصة من المقاتلة تابعة للبحرية، وان ظهر بعض القادة الذين اشتهروا بغزوهم في البحر، كعبد الله بن قيس حليف بني فزارة الذي غزا خمسين غزاة بين شاتية وصائفة في البحر[٢٢٧]، وجنادة بن أميه الأزدي اليماني[٢٢٨] الذي اعتمد عليه معاوية في غزو أرواد ورودس وكريت، وخالد بن كيسان صاحب الروم في خلافة عبد الملك والوليد[٢٢٩]، ولذلك نجد أن القتال في البحر كان أشبه ما يكون بالقتال في البر، ويقدم ابن الأعثم صورة حية في معركة ذات الصوارى، إذ عندما بلغ المسلمين خبر توجه ملك الروم قسطنطين بن هرقل في جمع كبير لغزو المسلمين في البحر، كتب عثمان إلى معاوية وأمره أن يركب في البحر بجنود المسلمين من أهل الشام، وكتب إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح يأمره أن يركب بأهل مصر، فاجتمع أهل مصر وأهل الشام بساحل مدينة عكا في جمع كبير من العدة والعدد والسلاح، ثم انهم حملوا الخيل معهم في المراكب، وانطلقوا من عكا في خمسمائة مركب فيها رجالة مقاتلة والخيل والسلاح والطعام الكثير، وخرج الروم في ألف مركب من مراكبهم فيها المقاتلة والنفط والنيران[٢٣٠]. وعندما رفض الروم اقتراح معاوية وعبد الله بن سعد بن أبي سرح بالخروج إلى الساحل والاقتتال في البر، ربط المسلمون المراكب بعضها إلى بعض واصطف المسلمون على جوانب المركب في أيديهم الرماح والسيوف والقسي والسهام، واقتتل الفريقان وليس بينهم رمية سهم ولا طعنة رمح الا الضرب بالسيوف والبواتر والخناجر والسكاكين حتى احمر ماء البحر، وقتل عدد كبير من المسلمين ومن الروم، وبما أن عبد الله بن سعد أمير مصر وعد القبط من النواتية ثلاثة دنانير عن كل رجل من الروم يقتلونه، فان القبط قتلوا منهم في ذلك قريبا من سبعمائة رجل[٢٣١].

(٢٢٦) تهذيب، ج ٥ ص ٣٠٥.
(٢٢٧) الطبري، ج ٤ ص ٢٦٢، ابن الأثير، ص ٩٧.
(٢٢٨) الطبري، ج ٤، ص ٣٠٩.
(٢٢٩) المصدر السابق، ج ٦ ص ٤٢٢.
(٢٣٠) ابن الأعثم، فتوح، ج ٢ ص ١٢٨.
(٢٣١) المصدر السابق، ج ٢ ص ١٢٩.

أما عن أشكال السفن الحربية ومعدّاتها في العصر الأموي، فان مصادرنا لا تمدنا بمعلومات على الاطلاق، وأكبر الظن أنها لم تكن تختلف كثيرا عن السفن المعروفة لدى الروم في ذلك العصر، لأنها كانت من صناعة عمال تأثروا بالأساليب المعروفة عند الرومان والبيزنطيين، ويعتقد جورج حوراني، أن الأسطول العربي في معركة ذات الصواري كان يتكون من درامين من الطراز البيزنطي العادي وهي سفن حربية سريعة خفيفة تشتمل على طبقة أو طبقتين من المجاديف(٢٣٢). لأن سفن البحر المتوسط القديمة ذات الشرع المربعة كان يمكن استعمالها في الرحلة لا في الحرب، ومن الطبيعي أن تتنوع المراكب الحربية بعد ذلك في أحجامها وأغراضها كما تدل على ذلك الاسماء المختلفة التي أطلقت عليها مثل الحرّاقات والشواني، والطرّادات والعشاريات والشلندات والمسطحات(٢٣٣)، ويمكن القول ان القوات البحرية لم تظهر بشكلها المنظم إلا في

---

(٢٣٢) جورج حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ١٨٣، والدرامين جمع درمونة معرّب dromon في اليونانية والتي يرجع إليها أيضا الكلمة المقابلة في السريانية.

Frankel, Die Aramaischen Fremd Worter, in Arabischen (Shiffahrt und see Verkehr) Leyden 1886, p.221.

(٢٣٣) ـــ محمد ياسين الحموي ـــ تاريخ الأسطول العربي، ط ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م ص ٣٦ ـــ ٤١

والحراقة : ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر، وقال دوزى: هي نوع من السفن الخفيفة.

الشونة، المركب المعد للجهاد في البحر والجمع الشواني، وكان من أهم القطع التي يتألف منها الأسطول الإسلامي والرومي لأنها كانت أكبر السفن وأكثرها استعمالا لحمل المقاتلة للجهاد، وكانوا يقيمون فيها أبراجا وقلاعا للدفاع والهجوم وكان متوسط ما يحمله الشيني الواحد ١٥٠ رجلا، ويقابل الشونة في الفرنسية Galere وفي الايطالية Galera.

الطرّاد : سفينة صغيرة سريعة السير والجري، وقال دوزى هي نوع من المراكب الحربية أكثر شبها بالبرميل الهائل من السفينة، وكان يستعمل غالبا في حمل الخيول والفرسان، وأكثر ما يحمل فيها أربعون فارسا، واستعملها الفرنج فأطلق عليها الاسبان اسم Tarida وأطلق عليها الطليان Tartana والفرنسيون اسم Tartan

العشارى، جمعها عشاريات، نقل المقريزى عن ابن الطوير أنها من توابع الأسطول وكان يسار بها في النيل، منها برسم الخليفة ومنها ماهو برسم ولاة الأعمال.

الشلندى : جمعها شلنديات، مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل في أهميتها الشونه والحرّاقه وأصلها اللاتيني Chelandium

المسطح : وهذه من أكبر سفن الأسطول الإسلامي، وكانوا يجرونها في البحار خلف السفن الصغيرة لئلا تغرق هذه في واديها.

عهد المتوكل وفي مصر، عندما نزل الروم دمياط سنة ٢٣٨ هـ/٨٥٢م، إذ يذكر المقريزى «أنه وقع الاهتمام منذ ذلك الوقت بأمر الأسطول وأنشئت الشواني برسم الأسطول، وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر، وانتدب الأمراء له الرماة، فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة، وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو، وكان لا ينزل في رجال الأسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب، ويشير المقريزى إلى أنه «كان لخدام الأسطول حرمة ومكانة، ولكل واحد من الناس رغبة في أن يعد من جملتهم، فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه[٢٣٤]»، أي ظهرت في هذه الفترة أهمية الأسطول وغزاة البحر، بحيث أن الناس أصبحوا يسعون بكل الوسائل للانضمام إلى هذه القوات البحرية، بينما رأينا أن المقاتلة من عرب اليمن في خلافة معاوية لم يكونوا متحمسين لغزو البحر مما دفعه إلى أن يعقب بينهم في البر والبحر، وهذا دليل على مدى التطور الذي أصاب البحرية في هذه الفترة الزمنية.

النظام المالي للجيش

لم يكن المقاتلة ينالون في البدء وقبل تنظيم ديوان العطاء سوى الأنفال والغنائم، وجماع معنى النفل والنافلة كما يرد في لسان العرب ماكان زيادة على الأصل، سميت الغنائم أنفالا لأن المسلمين فضلوا بها على سائر الأمم الذين لم تحل لهم الغنائم، والنفل، الهبة، والنفل، التطوع. وعن ابن السكيت: تنّفل فلان على أصحابه، إذا أخذ أكثر مما أخذوا عند الغنيمة، والنفل بالتحريك الغنيمة، وفي الحديث أن الرسول (صلعم) بعث بعثا قبل نجد، فبلغت سهمانهم اثني عشر بعيرا، فنفلهم بعيراً بعيراً، أي زادهم على سهمانهم، ويكون من خمس الخمس، وفي حديث ابن عباس «لانفل في غنيمة حتى يقسم جنّة كلها أي لا ينفل منها الأمير أحدا من المقاتلة بعد احرازها حتى يقسم كلها، ثم ينفله ان شاء من الخمس، فأما قبل القسمة فلا[٢٣٥]».

---

(٢٣٤) المقريزى، الخطط، ج ٣ ص ٦٠.

(٢٣٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة نفل.

أما الغنائم فهو كل ماغلب عليه المسلمون بالقتال[٢٣٦]، قل أو كثر حتى الابرة، والواجب في المغنم تخميسه إذ يقول الله تعالى في سورة الانفال «واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل[٢٣٧]». أما الباقي فيقسم بين الجند من أهل الديوان وغيرهم[٢٣٨]، إذ قال عمر ابن الخطاب «الغنيمة لمن شهد الوقعة[٢٣٩]». وكان توزيع الغنائم يتم بالسوية للراجل سهم وللفارس سهمين[٢٤٠]. وكانت الغنائم تجمع عند نيلها لدى صاحب الأقباض ثم ترسل إلى صاحب المقاسم[٢٤١]، الذي ينادى على مابين يديه ويثمن. وقد أرسل معاوية إلى صاحب المقاسم بخاتم ذهب وفيه فص ياقوت أحمر من مغانم رودس وأمر أن ينادى عليه، ثم أخذه معاوية لنفسه وحسبه للمسلمين من سهمه[٢٤٢].

وبما أن عمر بن الخطاب رفض تقسيم الأراضي التي افتتحها عنوة وأجراها كلها مجرى أرض الصلح وتركها في أيدي أصحابها على الجزية والخراج، فانه اجتمع بالصحابة لتقرير الوجوه التي تصرف فيها واردات البلاد، فقرروا أن يكون من وجوه صرفها، توزيع الأعطيات على المقاتلة، فيذكر سيف أنهم اتفقوا على «فرض الأعطية من الجزاء على من صالح أو دعي إلى الصلح من جزائه مردود عليهم بالمعروف، وليس في الجزاء أخماس، والجزاء لمن منع الذمة، ووفى لهم فيمن ولي ذلك منهم ولمن لحق بهم وأعانهم[٢٤٣]». ويذكر سيف عن الشعبي ومحمد بن سيرين «فرض العطاء حين فرض لأهل الفيء الذين أفاء الله عليهم، الفيء لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم وأقام معهم ولم

---

(٢٣٦) أبو يوسف الخراج، ص ١٦.
(٢٣٧) سورة الانفال، آية ٤١.
(٢٣٨) يحيى بن آدم، الخراج، ص ٣، أبو يوسف، ص ٢١.
(٢٣٩) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٣٠.
(٢٤٠) الطبري، ج ٣ ص ٤٤٠.
(٢٤١) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٧، ٤٣٦، الحولاني، تاريخ داريا، ص ٧٦.
(٢٤٢) ابن الأعثم، فتوح، ج ٢ ص ١٢٦، وقد يعهد الأمر إلى شخص واحد يقبض الغنائم ويقسمها فيسمى صاحب الأقباض والمقاسم.
(٢٤٣) الطبري، ج ٣ ص ٦١٨.

يفرض لغيرهم، ثم كتب في إعطاء أهل العطاء أعطياتهم عطاء واحداً سنة ١٥ هـ[٢٤٤]».

ولعل إشارة سيف إلى أن العطاء وزع في سنة ١٥ هـ واقعية وتعبّر عما كان يجرى فعلا في الأمصار بعكس ما كان في المدينة من توزيع الأموال حين حضورها[٢٤٥]، ولذلك قيل عن توزيع الأموال بشكل راتب معين في كل سنة عطاء، ويبين ذلك الشعبي فيقول عمّن رأى عمر أنه قال لمّا فتح الله عليه، وفتح فارس والروم، جمع أناسا من أصحاب رسول الله، فقال: ماترون؟ فاني أرى أن اجعل عطاء الناس في كل سنة وأجمع المال فانه أعظم بركة، ففرض الأعطيات[٢٤٦].

ويبدو أن العطاء بقي يوزع بالتساوي بين المقاتلة في العراق والشام حتى سنة ٢٠ هـ مع زيادة أهل البلاء في عطاياهم[٢٤٧]، وعن رافع مولى عمر قال: سمعت العباس بالجابية يقول لعمر: أربع من عمل بهن استوجب العدل، الأمانة في المال والقسم في السوية[٢٤٨]....» ويذكر سفيان بن وهب الخولاني أنه لما اجتمع الفيء، أرسل امراء الأجناد إلى عمر بن الخطاب أن يقدم بنفسه، فلما قدم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فان هذا المال نقسمه على من أفاء الله بالعدل، الرفيع فيه بمنزلة الوضيع ليس أحد به أحق من أحد». ثم قسّم بين الناس فأصاب كل رجل منهم نصف دينار إذا كان وحده، فإذا كانت معه امرأته أعطاه دينارا[٢٤٩].

إلا أن زيادة وارد الدولة بعد استقرار الشام والعراق ومصر وحصول اختلاف في الرأى في أحقية المسلمين الأوائل ومن أسلم بعدهم في المدينة في نصيبهم من الأموال

(٢٤٤) المصدر السابق، ج ٣ ص ٦١٥.
(٢٤٥) أبو عبيد الأموال، ص ٢٤٢.
(٢٤٦) أبو يوسف، ص ٤٩.
(٢٤٧) الطبري، ج ٣ ص ٦١٦، رواية سرى عن سيف «القسم بالسوية وأن يعطى أهل البلاء على قدر بلائهم».
(٢٤٨) الطبري، ج ٤ ص ٦٤.
(٢٤٩) أبو زرعة الدمشقي، تاريخ، ج ١ ص ١٧٨، تهذيب تاريخ دمشق، ج ١ ص ١٧٦.

وبين الفاتحين والروادف في الأمصار في وارد البلاد إضافة إلى توسع رقعة الدولة الإسلامية، كان دافعا لايجاد جهاز إداري ومالي جديد يتمشى والظروف الجديدة لهذه الدولة، فوضع ديوان العطاء على التفضيل[٢٥٠].

كان العطاء في الشام يتدرج بين أهل الأيام ومقاتلة اليرموك ومن أتى بعدهم والروادف، فعطاء أهل الأيام ثلاثة آلاف، وأهل اليرموك ألفان، ولأهل البلاء الرائع منهم ألفان وخمسمائة، وفرض لمن بعد اليرموك آلفا ألفا ثم فرض للروادف حسب تتابعهم المُثنّى، خمسمائة، الروادف الثّليث بعدهم ثلاثمائة وسوى كل طبقة في العطاء قويهم وضعيفهم، عربهم وعجمهم، وفرض للروادف الرّبيع على مائتين وخمسين وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين، كما أنه فرض لنساء أهل اليرموك مائتين مائتين، ثم سوّى بين النساء وجعل الصبيان سواء على مائة مائة[٢٥١]، ويذكر البلاذري أن عمر فرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل ما بين ألفين إلى ألف إلى تسعمائة إلى خمسمائة إلى ثلاثمائة ولم ينقص أحدا عن ثلاثمائة، بينما يشير النص الذي أورده الطبري إلى أن الحد الأدنى كان مائتين[٢٥٢].

نلاحظ من هذين النصين أن المردود الدائم بالنسبة للمقاتلة أصبح العطاء، وأن عطاء مقاتلة العراق والشام كان بنسبة واحدة في هذه الفترة، وأن عمر اعتمد في فرض العطاء على قواعد معينة، وهي الرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام والرجل وحاجته[٢٥٣]. أما في العهد الأموي، فنلاحظ أن الولاء للبيت الأموي والاخلاص له كان دافعا هاما لزيادة العطاء لأهل الشام، وظهر ذلك منذ خلافة معاوية الذي نقل بيت مال الدولة من الكوفة إلى دمشق وزاد في عطاء

---

(٢٥٠) لم يلاق قرار عمر بوقف الأرض على جميع المسلمين استحسانا لدى المقاتلة وقالوا له بعد ذلك: «أتقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا». وقال عمر للأنصار بعد اتخاذه القرار: «وقد زعموا أني قد ظلمتهم حقوقهم». (أبو يوسف، الخراج، ص ٢٦).

(٢٥١) الطبري، ج ٣ ص ٦١٤.

(٢٥٢) البلاذري، فتوح، ص ٤٣٨.

(٢٥٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، قسم ١ ص ٢١٥.

أهل الشام وأنقص عطاء أهل العراق[٢٥٤]. كما أن عبد الملك وعد أهل العراق خلال ثورة ابن الأشعث أن يجعل عطاءهم مساويا لعطاء أهل الشام، ولكن نظرا لرفض مقاتلة العراق بشروط عبد الملك، فانه لم يبر بوعده[٢٥٥]، أما الوليد بن يزيد الذي عرف بسخائه في العطاء فقد زاد عطاء جميع الأمصار، غير أنه مالبث أن زاد عطاء أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة[٢٥٦]، ومثل هذا الأمر منطقي لما عرف عن أهل الشام من ولاء للأمويين، ومع ذلك فلم تكن كل قبائلهم على نفس الدرجة من الولاء، ولذلك نجد أن معاوية لم يكن ليفرض في بادىء الأمر إلا للقبائل اليمانية، فلما قدم مسكين الدارمي الشاعر إلى معاوية وسأله أن يفرض له أبى فخرج مسكين وهو يقول:

أخـاك، أخـاك، إن من لا أخا لـــه
كساع إلى الهيجـــــــا بغير سلاح

وقال أيوب السعدى، ولم يزل معاوية كذلك حتى أغزى اليمن وكثرت، وضعفت عدنان، فبلغ معاوية أن رجلا من أهل اليمن قال يوما، «لهممت أن لا أحل حبوتي حتى أخرج كل نزارى بالشام»، فلما بلغت معاوية فرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس وجعل مسكين في شرف العطاء[٢٥٧]، فإذا صحّت هذه الرواية فهي تشير إلى أن التسجيل في ديوان الجند لم يكن اعتباطيا أو مفتوحا للجميع، وإنما يخضع لتوجيهات من الخليفة، ونجد صدى لذلك أيضا في توجيهات عمر بن عبد العزيز وان كانت مبنية على أسس أخرى، فقد أمر واليه على مصر أيوب بن شرحبيل بفريضة للجند وطلب منه أن يلصق ذلك بأهل البيوتات الصالحة[٢٥٨]» كما أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيد بن الحصين «أن مر للجند بالفريضة وعليك بأهل الحاضرة وإياك

---

(٢٥٤) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، ص ١٢٦، نقلا عن تيوفانس.

(٢٥٥) الطبري، ج ٦ ص ٣٤٧.

(٢٥٦) الطبري، ج ٧ ص ٢١٧، ابن الأثير، ج ٥ ص ٢٦٨.

(٢٥٧) تهذيب، ج ٥ ص ٣٠٣.

(٢٥٨) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٦٨.

والأعراب ، فانهم لا يحضرون محاضر المسلمين ولا يشهدون مشاهدهم[٢٥٩] » بمعنى أنه لا يجوز تسجيل أعرابي في ديوان الجند ، ويعلق أبو عبيد على هذا الأمر : وليس وجه هذا عندنا أن يكونوا لم يروا لهم في الفيء حقا ولكنهم أرادوا أن لا فريضة لهم راتبة تجرى عليهم من المال كأهل الحاضر الذين يجامعون المسلمين على أمورهم ويعينونهم على عدوهم بأبدانهم وأموالهم ، وهم مع هذا أهل المعرفة بكتاب الله وسنة رسوله والمعونة على إقامة الحدود ، وحضور الأعياد والجمع وتعليم الخير فلهذا آثروهم بالأعطية الجارية[٢٦٠] ، وفي كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم نلاحظ أنه يأمره أن يفرض للناس إلا لتاجر ، ولما سئل سليمان بن يسار حول كتاب عمر قال : أصاب عمر ، التاجر مشغول بتجارته عما يصلح المسلمين[٢٦١] ، بمعنى أن الفرض وهو التسجيل للمرة الأولى لا يكون لتاجر أو اعرابي وأنه يفضل أهل البيوتات الصالحة .

لم يكن عطاء المقاتلة في العهد الأموي بنسبة واحدة ، فقد كان هناك حد أعلى للعطاء يدعى شرف العطاء ، وبينما كان شرف العطاء محدداً بألفين وخمسمائة درهم في عهد عمر ومن تبعه من الخلفاء الراشدين[٢٦٢] ، فانه انخفض في خلافة بني أمية إلى ٢٠٠٠ درهم . يذكر البلاذري أنه قتل مع الضحاك في مرج راهط ثمانون من الأشراف كان لكل رجل منهم في العطاء ألفان وقطيفة يعطونها مع عطائهم[٢٦٣] .

وإذا كان شرف العطاء قد أعطي في بادىء الأمر لأهل الأيام والفتوح الأولى مجازاة لهم لمساهمتهم في تلك الحروب الخطيرة وبلائهم فيها أو لمن قام ببعض الأعمال الإدارية والقيادية[٢٦٤] ، فانه أضيف إليها في العصر الأموي الولاء لبني أمية مع التوريث

---

(٢٥٩) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٢٧ .

(٢٦٠) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٢٧ .

(٢٦١) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ص ٣٥٥ .

(٢٦٢) الطبري ، ج ٣ ص ٦١٤ ، ج ٤ ص ٧٥ .

(٢٦٣) البلاذري ، أنساب ، ج ٥ ص ١٣٦ ، ابن سعد ، ج ٥ ص ٢٥٥ .

(٢٦٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٤٣ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٤٤٢ .

في شرف العطاء الذي لم يكن يورث قبل ذلك، فقد اشترط حسان بن مالك بن بحدل وكان سيد أهل الشام على مروان ماكان لهم من شروط على معاوية وابنه يزيد منها أن يفرض لهم لألفي رجل ألفين ألفين، وان مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه[٢٦٥]، ولا شك أنه كان يفرض في شرف العطاء لأشراف القبائل وساداتهم ومن يظهر البلاء في الحرب.

أما عدد من كان يفرض لهم في شرف العطاء فقليل إذا ماقيس ببقية الأعطيات، وان كنا نفترض أن نسبتهم في الشام أكبر مما هو في الأمصار الأخرى كمصر مثلاً حيث يذكر ابن عبد الحكم أن عدد المقاتلة المسجلين في الديوان زمن معاوية كان أربعين ألفاً وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين (دينار)[٢٦٦]، أما أغلبية المقاتلة فكان عطاؤهم يتراوح بين مائتين إلى ثلاثمائة إلى ألف وألف وخمسمائة درهم[٢٦٧]، ونلاحظ أن عدد المقاتلة في الشام الذين يأخذون عطاءاً مرتفعاً كان كبيرا، لأننا إذا اعتمدنا رواية أبي عبيد معمر بن المثنى المتعلقة بكتاب الحجاج إلى رتبيل يتبين لنا أنه كان مع عمارة بن تميم ٣٠ ألفاً كل واحد منهم يأخذ مائة درهم في الشهر أي ١٢٠٠ درهم في السنة، فقد كتب الحجاج إلى رتبيل: أما بعد فاني قد بعثت إليك عمارة بن تميم في ثلاثين ألفاً من أهل الشام لم يخالفوا طاعة ولم يخلعوا خليفة ولم يتبعوا إمام ضلالة، يجرى على كل رجل منهم في كل شهر مائة درهم يستطعمون الحرب استطعاماً[٢٦٨].

بالإضافة إلى العطاء كان المقاتلون ينالون الرزق شهريا، فقد روى ابن عساكر أن عمر بن الخطاب لما وصل الجابية، كان من جملة مافعله أنه دعا ابن قاطورا صاحب الأرض فقال: أخبرني ما يكفي الرجل من القوم في الشهر واليوم؟ فأتى بالمدى والقسط فقال يكفيه مديان في الشهر وقسط زيت وقسط خل، فأمر عمر بمديين

(٢٦٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣ ص ٨٦.

(٢٦٦) ابن عبد الحكم، فتوح، ص ١٠٢، المقريزي، الخطط، ج ١ ص ١٧٢، ١٧٣.

(٢٦٧) الطبري، ج ٥ ص ٢٢٣، البلاذري، أنساب، ج ٥ ص ٣٥٤، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٢ ص ٤٤، ٤٥.

(٢٦٨) الطبري، ج ٦ ص ٣٩٠.

قمحا فطحنا ثم عجنا ثم أدمهما بقسطي زيت ثم أجلس عليهما ثلاثين رجلا فكان كفاف شبعهم[٢٦٩]، وكانت هذه المؤن تحفظ في هرى ثم توزع على المقاتلة[٢٧٠].

كان المقاتلة يأخذون زيادة عن العطاء والرزق أموالاً إضافية تسمى المعاون، وجدت هذه منذ أيام عمر بن الخطاب[٢٧١]، فقد خطب حين أراد الرجوع من الشام إلى المدينة، فبيّن لأهل الشام بأنه قضى ما عليه وأنه جنّد الجنود وهيأ لهم الفروج ووسع عليهم ما بلغ فيؤهم وما قاتلوا عليه من شامهم، وأنه سمّى لهم أطماعهم، وأمر لهم بأعطياتهم وأرزاقهم ومعاونهم[٢٧٢]، وقد ارتفع مقدار المعونة في الشام حين دعوة المقاتلة إلى حملة مهمة أو للقضاء على ثورة ما، فقد أعطى يزيد بن معاوية الجند الذين انتدبهم لمقاتلة ابن الزبير مائة دينار معونة فوق أعطياتهم[٢٧٣]. وعندما وجه مروان جيشا من فلسطين مع حبيش بن دلجة القيني إلى ابن الزبير في ستة آلاف وأربعمائة جندى، قيل انه لم يقتل رجل من أصحاب ابن دلجة إلا كان أقل ما وجد معه مائة دينار[٢٧٤].

وقد جعل عمر بن عبد العزيز العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء، إلا أنه جعل فريضة المولى المعتق خمسة وعشرين دينارا[٢٧٥]. وعندما أراد يزيد بن الوليد بن عبد الملك أن يوجه المقاتلة إلى الوليد بن يزيد قرر منح ١٠٠٠ درهم معونة لمن ينتدب لقتال الوليد ونظرا لقلة من تقدم رفع القيمة إلى ١٥٠٠ درهم ثم إلى ٢٠٠٠ درهم[٢٧٦].

وهكذا نرى أن بني أمية في الشام استصلحوا الجند بإدرار أرزاقهم وسدّ حاجاتهم والمكافأة لهم على قدر غنائمهم وبلائهم، سئل عمرو بن معاذ وكان على

---

(٢٦٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق، المجلدة الأولى، ص ٥٥٦.
(٢٧٠) البلاذري، فتوح، ص ١٤٠، ٢١٠، ٢١١.
(٢٧١) الطبري، ج ٤ ص ٤٣، ٦٥.
(٢٧٢) الطبري، ج ٤ ص ٦٥.
(٢٧٣) المصدر السابق، ج ٥ ص ٤٨٣، ابن الأثير، ج ٤ ص ١١٢.
(٢٧٤) البلاذري، أنساب، ج ٥ ص ١٥١.
(٢٧٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٥ ص ٢٧٧.
(٢٧٦) الطبري، ج ٧ ص ٢٤٢.

الصوائف، بما قدرت على جيوش الصوائف؟ وكان يغزو في كل سنة ويجر الجيوش إلى بلاد الروم، فقال بسمانة الظهر والقديد وكثرة الكعك[٢٧٧].

كان العطاء يدفع سنويا للمقاتلة في المحرم عند بداية السنة الهجرية في خلافة عمر بن الخطاب[٢٧٨]، كما أنه ما بلغ الناس عاشوراء قط في أيام زياد إلاّ وطائفة يأخذون العطاء، وكان زياد إذا أهلّ المحرّم أخرج للمقاتلة أعطياتهم[٢٧٩]، غير أن دفع العطاء في وقته المحدد لم يكن أمراً ميسوراً دائماً وخاصة إذا لم يصل الخراج في وقته المعين، أو بَسبب الاضطرابات، وفي هذه الحال كان العطاء يدفع أقساطا أو يؤخر دفعه عن الموعد المقرر، فقد وعد يزيد بن معاوية الناس أن يجمع لهم عطاءهم كله، إذ أن معاوية كان يخرج لهم العطاء ثلاثاً[٢٨٠]، كما أننا نرى يزيد بن الوليد يعد المقاتلة أن يدفع لهم عطاءهم كل سنة ورزقهم كل شهر[٢٨١]، وهذا يعني أن الأعطيات أحياناً لم تكن توزع سنوياً ولا الأرزاق شهريا، كما أن الخليفة إذا كان بحاجة إلى الأموال أخذها من بعض الولايات، فكان هذا يؤدي إلى حبس العطاء عن مقاتلة ذلك المصر، فقد اضطرت الأحداث الداخلية مروان بن محمد إلى تأخير العطاء عن ديوان مصر، ثم دفعهم في العام التالي معتذراً لهم بقوله، «اني إنما حبست عنكم العطاء في السنة الماضية لعدو حضرني، فاحتجت فيه إلى المال، وقد وجهت إليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة[٢٨٢]».

ويعود لزياد بن أبيه فضل تنظيم العطاء في العراق على أسس جديدة غير تلك التي كانت متبعة سابقاً والتي أصبح فيها لكل عشيرة عريف خاص بها يتولى توزيع

---

(٢٧٧) الطرطوشي، سراج الملوك، الطبعة الأولى، ١٣١٩ هـ ص ١٠٦.

(٢٧٨) الطبري، ج ٤ ص ٤٣. في رواية سيف أن عمر كتب إلى سعد بن مالك وإلى عتبة بن غزوان أن يتربعا بالناس في كل حين ربيع في أطيب أرضهم، وأمر لهم بمعاونهم في الربيع من كل سنة وباعطائهم في المحرّم من كل سنة.

(٢٧٩) البلاذري، أنساب، ج ٤، قسم ١ ص ١٩.

(٢٨٠) ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة القاهرة، ج ٨ ص ١٤٣.

(٢٨١) الطبري، ج ٧، ص ٢٦٩، خليفة، ج ٥ ص ٥٥١.

(٢٨٢) المقريزى، الخطط، ج ١ ص ١٧٣.

لعطاء على أفراد عشيرته المثبتين في الديوان[٢٨٣] . وبما أن هذا التنظيم هو تنظيم منطقي يسهل تطبيقه ، وكان مطبقا كذلك في مصر على هذا الأساس[٢٨٤] ، يمكننا أن نفترض بأن توزيع العطاء في الشام كان يتم وفقا للمبدأ ذاته ، لاسيما وأن هناك اشارة إلى وجود عريف للسكاسك[٢٨٥] ، ووجود عريف لكل قوم[٢٨٦] .

أما عطاء الأسرى ، فليس بين أيدينا سوى نص واحد يعود إلى عهد عمر بن عبد العزيز يتعلق بالأسارى بالقسطنطينية ، إذ أنه كتب إليهم حسب رواية ابن عبد الحكم : « أما بعد فانكم تعدون أنفسكم أسارى ، معاذ الله بل أنتم الحبساء في سبيل الله ، واعلموا أني لست أقسم شيئاً بين رعيتي إلاّ خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه ، واني قد بعثت إليكم بخمسة دنانير خمسة دنانير ، ولولا أني خشيت ان زدتكم أن يحبسه طاغية الروم عنكم لزدتكم[٢٨٧] » ، بمعنى أن عطاء الأسير كان يعطى لأهله ، لا بد أن هذا المبدأ كان مطبقاً في الفترات السابقة ، فخلفاء بني أمية كان يهمهم أمر مقاتلتهم في الشام ويستبعد أن يكونوا قد أهملوا أمرهم وأمر أسرهم ، وهذا بدوره يقتضي تسجيلاً في الديوان لمن يقتل أو يفقد أو يؤسر . وقد اتخذ عمر بن عبد العزيز اجراءات معينة متعلقة بالغائب ، فإذا كان قريب الغيبة أعطى العطاء لأهل ديوانه ، وان كان منقطع الغيبة يعزل عطاؤه إلى أن يقدم أو يأتي نعيه ، أو يوكل عنده بوكالة ببينة على حياته فيدفع العطاء إلى وكيله[٢٨٨] ، أما إذا مات أو قتل كان ما يستحق من عطائه موروثا عنه على فرائض الله تعالى وهو دين لورثته في بيت المال[٢٨٩] . واختلف الفقهاء في استيفاء نفقات ذريته من عطائه في ديوان الجيش فبعضهم يقول ان ورثته يحالون على

---

(٢٨٣) القلقشندي ، ج ١ ص ٤٢٤ ، ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٦٣ ، ١٣٥ .

(٢٨٤) المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٣٩٣ ، ياقوت الحموي ، ج ١ ص ٤٩٢ .

(٢٨٥) تهذيب ، ج ٥ ص ٢٥ .

(٢٨٦) المصدر السابق ، ج ٦ ص ١١٧ .

(٢٨٧) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٤٠ .

(٢٨٨) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ص ٣٥٧ .

(٢٨٩) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٦ .

مال العشر والصدقة لأن عطاءه قد سقط بموته، والبعض الآخر يرى أنه يستبقي من عطائه نفقات ترغيباً وتشجيعا للجنود على التجنيد[٢٩٠].

واختلف الفقهاء كذلك في سقوط عطائه إذا حدثت به عاهة تمنعه من القتال، فالبعض يرى أن عطاءه يسقط لأنه في مقابل عمل لم يعد يستطيع القيام به، والقول الثاني انه باق على العطاء ترغبيا في التجنيد والارتزاق[٢٩١].

كان على أهل العطاء أن يجهزوا أنفسهم بالأسلحة، ويذهبوا للقتال عندما يضرب عليهم البعث ويدعون إلى الخدمة[٢٩٢]، ويظهر أن هذا كان منذ البداية كما يتضح من قول عمر بن الخطاب: «لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف، ألفا يجعلها في أهله، وألفاً يزودها معه، وألفاً يتجهز بها وألفاً يترفق بها[٢٩٣]». وروى الهيثم ابن عدى عن ابن عباس الهمداني وغيره أن كثير بن شهاب كان على الرى ودستبى وقزوين كان إذا غزا أخذ كل امرىء ممن معه، بترس ودرع وبيضة ومسلة وخمس ابر وخيوط كتان ومقص ومقراص ومخلاة[٢٩٤]، ووجه عمر بن عبد العزيز كتابا إلى ولاته حين أخرج العطاء جاء فيه: «لايقبل من رجل له مائة دينار إلا فرس عربي ودرع وسيف ورمح ونبل[٢٩٥]».

وكان أخذ العطاء يحتم على صاحبه أن يقوم بالغزو، إلا أنه كان باستطاعة من لا يريد الغزو أن يخرج بدلاً، ويروى المدائني أنه لم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء إلا وعليه الغزو، فمنهم من يغزو ومنهم من يخرج بدلاً. وكان لهشام بن عبد الملك مولى يقال له يعقوب، فكان يأخذ عطاء هشام مائتي دينار ودينار، فيأخذها يعقوب ويغزو، وكانوا يصيرون أنفسهم في أعوان الديوان، وفي بعض ما يجوز لهم المقام

---

(٢٩٠) الماوردي، ص ٢٠٦.
(٢٩١) المصدر السابق، ص ٢٠٦.
(٢٩٢) الطبري، ج ٦ ص ٢٣٠، ٢٣١.
(٢٩٣) المصدر السابق، ج ٣ ص ٦١٥.
(٢٩٤) البلاذري، فتوح، ص ٣١٤.
(٢٩٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٥ ص ٢٥٨.

ويوضع به الغزو عنهم[٢٩٦]، أي بامكان أهل العطاء التخلص من البعوث إذا عملوا في الوظائف التي تقتضي البقاء في المصر أو إذا أرسلوا عنهم بديلاً، أما العرفاء فكانوا لا يشاركون في البعوث والقتال في أكثر الأحيان، «لأنهم خلفاء الغزاة في عيالهم[٢٩٧]»، ولكن هذا لا يمنع من مشاركتهم في القتال إذا دعت الحاجة إلى ذلك[٢٩٨]، لأنهم كانوا يعدون من أهل الديوان ويأخذون العطاء.

وهكذا يتبين لنا من دراستنا للتنظيم العسكري في الشام أن الجيش الشامي كان يتألف بالدرجة الأولى من القبائل العربية المقيمة في الشام، وبما أن القبائل اليمانية والقضاعية كانت تؤلف الأكثرية، فمن الطبيعي أن يتألف الجيش في معظمه من هذه القبائل بالإضافة إلى القبائل القيسية التي كان مستقرها الجزيرة وجند قنسرين، ولكننا نلاحظ استفادة بني أمية من كل الطاقات البشرية، فقد استعانوا بأهل الذمة في مناطق الحدود والثغور، كما أنهم استخدموا الموالي الذين ازدادت نسبتهم في الفترة المروانية حيث ظهرت لدينا فرق خاصة، كالوضاحية والذكوانية والمحمرّة وغيرهم، ولكن القيادات العليا في الشام بقيت بيد العرب من الصحابة وأبنائهم ومن أشراف القبائل في الفترة السفيانية وبيد أمراء بني أمية في الفترة المروانية، ولا سيما في قيادة الصوائف والشواتي، إذ أن أمراء بني أمية كانوا يعلقون أهمية كبيرة عليها لأنهم انما يتابعون عملية الجهاد ضد أعداء المسلمين من جهة كما أنها كانت تكسبهم هالة من المجد من جهة ثانية، ثم ان عملية الجهاد هذه كانت تمكنهم من أن تحافظ جيوشهم الشامية على ماتتمتع به من نظام وسجايا حربية، ولقد بقيت القبيلة أو العشيرة عنصراً مكوناً بارزاً في مجال التعبئة سواء في اعتمادهم على نظام الصف أو الكراديس أو عندما تدمج لغايات عسكرية أو مالية في تنظيمات أكبر. ونلاحظ في مجال الأسلحة ووسائل الدفاع وآلات الحصار أن مجال الاقتباس يظهر واضحاً، إلاّ أن التطور الذاتي والابتكار على شكل استجابة ناجحة لمتطلبات التطور قد سارا جنبا إلى جنب مع

---

(٢٩٦) الطبري، ج٧ ص ٢٠٢.

(٢٩٧) تهذيب، ج٧ ص ١٥٢.

(٢٩٨) الطبري، ج٦ ص ٢٥٤، ٢٥٥.

الاقتباس ، ويكفي أن نقارن بين البداية والأوج وبينهما مدة لا تتجاوز الخمسين سنة في كثير من الأحيان سواء على صعيد العدد أو على صعيد الآلات والعدد ، حتى نرى هذه القفزة الواسعة التي حققها العرب عامة ومقاتلة أهل الشام خاصة .

الخاتمة

ألقت هذه الدراسة الضوء على أهمية بلاد الشام في صدر الإسلام، لا سيما عندما أصبحت الشام الولاية المركزية في عهد بني أمية، فأضحت لها المكانة السياسية الأولى وتمتعت بقوة عسكرية فائقة وبأوضاع إدارية واجتماعية متميزة، فالأكثرية الساحقة من الروم ومرتزقتهم نزحوا عن المدن الساحلية والداخلية الهامة ولحقوا بهرقل إلى آسيا الصغرى والقسطنطينية. والقبائل العربية النصرانية، التي كانت تشكل نسبة سكانية لا يستهان بها في الشام قبل الفتح، اعتبرت اجتماعيا بمستوى العرب المسلمين الفاتحين عندما اعتنقت الإسلام، والدليل على ذلك هو الازدياد المستمر في أعداد المقاتلة العرب في كل جند، وهذا الازدياد لم يكن ناجما عن هجرة القبائل من الجزيرة العربية فقط، وإنما عن اعتناق القبائل العربية النصرانية للدين الإسلامي. كما أن معظم العرب في الشام في العصر الأموي كانوا من عرب الجنوب، باستثناء جند قنسرين حيث كانت الأكثرية قيسية، وأصبح العرب يشكلون الغالبية الكبرى من السكان في معظم الأجناد سواء في المناطق الساحلية أو الداخلية، إلا في جند دمشق

حيث نلاحظ أن السكان في مدن جند دمشق الساحلية كان أكثرهم من اليهود والفرس نتيجة للسياسة التي اتبعها معاوية وعبد الملك من بعده .

ونظرا لسياسة التسامح الديني التي اتبعها خلفاء بني أمية ، وعدم فرض ضرائب اضافية على أهل الذمة ، كما حدث في العراق ومصر مثلاً ، بقيت النصرانية واسعة الانتشار نسبيا بين السكان من غير العرب ، ومن ثم فان النسبة الكبرى من الموالي وفقا للروايات المتوافرة كانوا موالي عتاقة ينتمون إلى أصول مختلفة ، وكان خلفاء وأمراء بني أمية يملكون أعداداً كبيرة منهم ازدادت في الفترة المروانية نتيجة للفتوحات في الشرق والغرب . ولذلك ازداد اعتماد خلفاء بني أمية في هذه الفترة على الموالي في كل دوائر الدولة ، كما ظهرت فرق للموالي ، كالوضاحية والذكوانية والمحمرّة ، شاركت في قمع الثورات التي نشبت ضد الأمويين ، ولكن القيادات في الجيش في الشام بقيت تسند إلى العرب ، إلى أبناء الصحابة وأشراف القبائل في الفترة السفيانية ، وإلى أمراء البيت المرواني خاصة وبني أمية عامة في الفترة المروانية ، كما أن بعض الوظائف الأساسية بقيت تسند إلى العرب ، كولاية الأجناد والقضاء والشرطة ، أما المستشارون والوزراء فكان منهم العرب ومنهم الموالي .

ونتيجة لسياسة معاوية المالية التي أصبح على الولايات بموجبها ارسال الفائض من الأموال إلى بيت المال المركزي ، تدفقت الأموال على الشام بالإضافة إلى أخماس الغنائم التي كانت ترسل إليها مما أدّى إلى ازدهار الشام وتمتع أهلها كافة بمميزات خاصة ، فعطاء مقاتلة الشام كان أكثر من عطاء المقاتلة في الأمصار الأخرى . كما لا نجد ذكرا لضرائب إضافية كتلك التي فرضت في العراق ومصر ، مما أدّى إلى ازدهار الزراعة لعدم شعور المزارع بأن كل مايجنيه سوف يتوجه

إلى الدولة، ومن ثم لانجد ذكرا لهجرة الفلاحين من أرضهم، كما حدث في العراق ومصر في العصر الأموي، أو كما حدث في الشام زمن هارون الرشيد عندما ترك بعض أهالي قرى فلسطين أراضيهم هربا من كثرة الخراج. وشهدت الشام كذلك ازدهاراً تجارياً نتيجة لسيطرة العرب على المناطق التي كانت تحت النفوذ الساساني وسيطرتهم كذلك على الشام ومصر،، فلم يعد للمراكز الجمركية القديمة التي كانت موجودة بين الدولتين من أهمية. كما أن حكام القسطنطينية في هذه الفترة، كما تشير إلى ذلك مختلف الأدلة، لم يمنعوا التجارة مع الشام ومصر، لأن المنع كان يعني الاعتراف بخسرانهم لهاتين الولايتين، ويبدو أن الحكام البيزنطيين حتى سنة ٦٩٣ م/٧٤ هـ كانوا يرفضون الاعتراف بأن الشام ومصر ولايات خارجة عن نطاق الامبراطورية، ولذلك لم يطبق على المنتجات المرسلة من هاتين الولايتين قانون جستنيان. كما أن قوانين الملاحة والتجارة الصارمة التي كانت مطبقة سابقاً يبدو وكأنها اختفت، ولكن عندما عمد عبد الملك ابن مروان إلى تحرير الدولة الإسلامية من السيطرة البيزنطية اقتصاديا وإلى اقامة وحدة اقتصادية مستقلة من جهة، وإلى تحقيق نوع من الضغط الاقتصادي على بيزنطة من جهة أخرى بسكّه للدنانير العربية الإسلامية، نلاحظ أنه أضيفت الحرب الاقتصادية إلى العداء العسكري البري والبحري. ولكن عدم فرض خلفاء بني أمية قيودا على التجارة الخارجية للدولة الإسلامية، كتلك التي فرضها البيزنطيون، أدى إلى سحب تجارة منتجات العالم العربي وتجارة الحرير والتوابل، التي كان البيزنطيون بأمس الحاجة إليها، من مصر والشام المركزين البحريين لمنافسيهم الأمويين إلى العراق. ومما ساعد البيزنطيين على اغلاق البحر المتوسط في وجه الملاحة البحرية المنطلقة من الشام ومصر، قوة الأسطول البيزنطي

الذي خرج منتصرا سنة ١٠٠ هـ، وسيطرة بيزنطة على عدد كبير من جزر البحر المتوسط التي تشكل سلسلة من الجزر الحاجزة تجاه الشمال الافريقي والساحل الاسباني. فإذا أضفنا إلى ذلك انقسام الصف الأموي سنة ١٢٦ هـ إثر مقتل الوليد بن يزيد، وانقسام كلمة أهل الشام الذين كانوا يشكلون القاعدة المتينة والجبهة المتراصّة التي كان الحكم الأموي يقوم عليها، فانه لم تأت سنة ١٣٥ هـ/٧٥٢م حتى كانت الشام قد خسرت مركزها السياسي والتجاري الهام، فقد انتقل الحكم إلى العباسيين، وأصبحت العراق الولاية المركزية التي يمر بها الخط التجاري المتوجه نحو طرابزون، وخسرت دمشق مكانتها السياسية الهامة، ولم تستعدها، إلا فترة من الزمن وإلى حين، في عهد كل من نور الدين وصلاح الدين، حيث عادت إلى مسرح الأحداث كعاصمة كبرى لزعيمين عظيمين من زعماء العالم الإسلامي، وحظيت ابّان حكمهما بقدر كبير من العز والمجد والازدهار.

المصادر والمراجع

★ المصادر العربية .

- الأبشهي (شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشهي)، (ت ٨٥٠ هـ) **المستطرف في كل فن مستظرف** وبهامشه كتاب ثمرات الأوراق في المحاضرات للامام تقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد ابن حجة الحموي.
- ابن ابكار (اسكندر بن يعقوب).
نهاية الأرب في أخبار العرب، مرسيليا، ١٨٥٢ م.
- ابن أبي حديد (عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن الحسين) (ت ٦٥٦ هـ)، **شرح نهج البلاغة**، ١٧ ج، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٩.
- ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، تونس، ١٣٨٦ هـ.
- ابن أبي السرور (أبو الحسن علي بن أبي عبد الله بن محمد).
بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، مطبعة النجاح، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٧ هـ/١٩٠٩ م.
- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجي)، (ت ٦٦٨ هـ).
عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق الدكتور نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ابن الأعثم (أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي)، (ت ٣١٤ هـ).
الفتوح ٧ أجزاء، تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان، ١٣٨٨ ـ ١٣٩٤ هـ/١٩٦٨ ـ ١٩٧٤ م.

- الأزدي (أبو زكريا يزيد بن محمد بن أياس بن القاسم)، (ت ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م) تاريخ الموصل، تحقيق الدكتور علي حبيبة، القاهرة، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م.
- الاصطخري (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي).
  المسالك والممالك، تحقيق دى غويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧.
- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين)، (ت ٣٥٦ هـ):
  ١ ــ **مقاتل الطالبيين**، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ١٣٦٨ هـ/١٩٤٩ م.
  ٢ ــ **الأغاني**، ١٨ ج، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٧ ــ ١٩٦١.
- الأنصارى (شرف الدين موسى بن يوسف).
  التذكرة الأيوبية، مخطوطة في المكتبة الظاهرية برقم ٧٨١٤.
- بحشل (أسلم بن سهل الرزاز الواسطي)، (ت ٢٩٢ هـ).
  تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد.
- البخارى، **الجامع الصحيح**، ٤ أجزاء، طبعة ليدن.
- أبو البقاء (عبد الله محمد البدري المصري الدمشقي).
  نزهة الأنام في محاسن الشام، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١ هـ.
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر):
  ١ ــ **فتوح البلدان** ــ تحقيق محمد رضوان، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
  ٢ ــ **أنساب الأشراف**، **الجزء الأول**، تحقيق الدكتور محمد حميد الله، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية.
  القسم الأول من الجزء الرابع، مؤسسة الدراسات الافريقية الإسلامية، الجامعة العبرية، القدس ١٩٧٢.
  القسم الثاني من الجزء الرابع، مكتبة المثنى، بغداد.
  القسم الثالث، العباس بن عبد المطلب وولده، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدورى، بيروت ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م.

  الجزء الثالث، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودى، بيروت الطبعة الأولى، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م.
  الجزء الخامس، مؤسسة الدراسات الشرقية، الجامعة العبرية، القدس، ١٩٣٦.
- البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل).
  كتاب البدء والتاريخ، الجزء الثاني، باريز ١٩١٩.
- البيروني، **الآثار الباقية في القرون الخالية**، طبعة ليبزك، ١٩٣٢ م.

☐ البيهقي (أحمد بن الحسين).
سنن البيهقي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، طبعة أولى، ١٣٥٤ هـ.
☐ ابن تيمية، **السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية**، دار الكتب العربية، بيروت.
☐ التنوخي، **الفرج بعد الشدة**، ج ١، القاهرة، الطبعة الأولى.
☐ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب):
١ ــ **البيان والتبيين**، تحقيق حسن السندوبي، دار الفكر، بيروت.
٢ ــ **كتاب التاج في أخلاق الملوك**، تحقيق فوزي عطوى، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت.
٣ ــ **العثمانية**، طبعة القاهرة، ١٩٥٥ م.
٤ ــ **ثلاث رسائل**، القاهرة، الطبعة السلفية، ١٣٤٤ هـ.
☐ جرجس بن العميد، **تاريخ ابن العميد**، ليدن.
☐ جرير، **ديوان جرير**، دار صادر، بيروت.
☐ الجمحي (محمد بن سلام)
طبقات الشعراء، طبعة أوفست، دار النهضة، عن طبعة ليدن، ١٩١٣ م، بيروت.
☐ **الجهشيارى كتاب الوزراء والكتاب**، تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الأبيارى، عبد الحفيظ الشلبي، طبعة ١٣٥٧ هـ/١٩٣٨ م.
☐ ابن الجوزى (أبو الفرج) (ت ٥٩٧ هـ)
تاريخ عمر بن الخطاب، دار احياء علوم الدين بدمشق.
☐ ابن حبيش (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف)
الفتوح، مخطوطة منسوخة من مكتبة الدكتور سهيل زكار.
☐ حسان بن ثابت، **الديوان**: تحقيق الدكتور وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤ م.
☐ ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي)
جمهرة أنساب العرب، نشر وتحقيق د. ليفي بروفنسال، دار المعارف مصر.
☐ الحميرى (عبد المنعم)
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٧٨ م.
☐ ابن حنبل (أحمد بن محمد) (ت ٢٤١ هـ)
المسند، ٤ أجزاء، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٦٨ هـ/١٩٤٩ م.
☐ أبو حنيفة (النعمان بن ثابت) (ت ١٥٠ هـ)
جامع المسانيد، جزءان، حيدر أباد، ١٣٣٢ هـ.
☐ ابن خرداذبة (عبيد الله بن عبد الله) (ت ٢٧٢ هـ)

المسالك والممالك، تحقيق دى غويه، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩ ،، اوفست مكتب المثنى، بغداد.

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون الخضرمي المغربي) (ت ٨٠٨ هـ) المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧١ م.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، جزءان.
- خليفة بن خياط، **تاريخ خليفة**، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دمشق ١٩٦٧.
- الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي الكاتب) (ت ٣٨٧ هـ) **مفاتيح العلوم**، القاهرة، ١٣٤٢ هـ.
- الخولاني (القاضي عبد الجبار)

تاريخ داريا، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ١٣٦٩ هـ، ١٩٥٠ م.

- الدينوري (أحمد بن داود) (ت ٢٨٢ هـ)

الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة الدكتور جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الاقليم الجنوبي، القاهرة ١٩٦٠ م.

- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) (ت ٧٤٨ هـ/١٣٧٤ م).

سير أعلام النبلاء، ٨ أجزاء، **مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م.**

- الرازى، **التفسير الكبير**، المجلد الثامن، الطبعة الثانية.
- ابن رجب (عبد الرحمن بن أحمد) (ت ٧٥٩ هـ).

الاستخراج لأحكام الخراج، تحقيق عبد الله الصديق، القاهرة ١٩٣٤ م.

- **ابن رستة (أبو علي أحمد بن عمر) (ت ٣٩٠ هـ).**

الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١ م.

- ابن رشد (محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي)

بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جزءان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٥٧ هـ/١٩٢٧ م.

- أبو زرعة (عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان) (ت ٢٨١ هـ)

تاريخ أبي زرعة، جزءان، تحقيق شكر الله بن نعمة الله الفرجاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

- ساويرس، **سير الآباء البطاركة**، الجزء الخامس، باريز، ٩١٠.
- ابن سعد (محمد) (ت ٢٣٠ هـ).

كتاب الطبقات الكبير، الأجزاء السبعة الأولى، ليدن ١٣٢٢ هـ.

- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) (ت ٩١١ هـ):

١ ــ **الاقتراح في علم أصول النحو**، تحقيق أحمد صبحي فرزات، استانبول، مطبعة كلية الآداب، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م.

٢ ــ **تاريخ الخلفاء**، تحقيق لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت.

- الشابشتي (أبو الحسن علي بن محمد)
  الديارات، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥١ م.
- الشافعي (محمد بن أدريس) (ت ٢٠٤ هـ)
  الأم، ٦ أجزاء القاهرة، ١٣٢١ هـ ١٣٢٦ هـ.
- ابن شداد (عز الدين أبي عبد الله بن علي بن ابراهيم الحلبي) (ت ٦٨٤ هـ)
  الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، الجزء الأول من القسم الأول، تحقيق دومينيك سورديل، دمشق ١٩٥٣ م.
  تاريخ مدينة دمشق، تحقيق الدكتور سامي الدهان.
- الصابي، **تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٨ م.
- الصولي (محمد بن يحيى (ت ٣٣٦ هـ).
  أدب الكاتب، تحقيق محمد بهجت الأثرى، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١ هـ.
- ابن طباطبا (محمد بن علي) (ت ٧٠٩ هـ) الفخري في الآداب السلطانية، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٤٥ هـ/١٩٢٧ م.
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) (ت ٣١٠ هـ)
  تاريخ الرسل والملوك، ١٠ أجزاء، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية.
- الطرطوشي (محمد بن الوليد)
  سراج الملوك، المطبعة الأزهرية المصرية، الطبعة الأولى ١٣١٩ هـ.
- ابن طولون (شمس الدين)
  الثغر البسام في ذكر من ولى قضاء الشام، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٥٦ م.
- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي) (ت ٤٦٣ هـ)
  الأنباه على قبائل الرواة، القاهرة، ١٣٥٠ هـ.
- ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) (ت ٢١٢ هـ)
  سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق أحمد عبيد، الطبعة الثانية، ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤ م.
  فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٠ م.
- ابن عبد ربه **العقد الفريد**، ٧ أجزاء، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، ابراهيم الابياري، ١٩٤٩ ــ ١٩٦٨.
- ابن العبرى (غريغورس أبي الفرج بن هارون الملطي)

تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

- أبو عبيد (القاسم بن سلام) (ت ٢٢٤ هـ)

كتاب الأموال، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة.

- ابن العديم (كمال الدين، أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله) (ت ٦٦٠ هـ)

زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق الدكتور سامي الدهان.

- ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار المغرب**، جزءان، دار بيروت صادر، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م.
- ابن عساكر (القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي)

تاريخ مدينة دمشق، المجلدة الأولى والثانية، تحقيق صلاح الدين المنجد.

المخطوطة، رقم ٣٣٧٠، نسخة سليمان باشا العظم، المكتبة الظاهرية.

- العمرى **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، مطبعة الدار، مصر.
- أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا) (ت ٧٣٢ هـ)

المختصر في تاريخ البشر، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني.

- ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني)

كتاب البلدان، ليدن، ١٣٠٢ هـ.

- أبو الفضل النيسابوري، **مجمع الأمثال**، القاهرة، ١٣٥٢ هـ.
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) (ت ٢٧٦):

١ ــ **عيون الأخبار**، مجلدان، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ/١٩٣٠ م.

٢ ــ **المعارف**، تحقيق محمد اسماعيل عبد الله الصاوى، بيروت، ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م.

٣ ــ **الامامة والسياسة**، جزءان، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

- قدامة بن جعفر، **نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة**، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٦ هـ.
- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)

آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

- القشيرى (أبو علي بن سعيد بن عبد الرحمن القشيرى الحرّاني) (ت ٣٣٤ هـ)

تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله والتابعين والفقهاء والمحدثين، حقق وعلق حواشيه وقدم له طاهر النعساني.

- القسطلاني (شهاب الدين أحمد بن محمد)

ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، طبعة بولاق، ١٣٢٧ هـ.

- القلقشندي (أحمد بن عبد الله) (ت ٨٢١ هـ):

١ ــ **مآثر الاناقة في معالم الخلافة**، جزءان ــ الكويت ١٩٦٤م.
٢ ــ **صبح الأعشى**، ١٤ جزء، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٣١هـ/١٩١٣م.

☐ ابن قيم الجوزية (الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر) (ت ٧٥١هـ)
أحكام أهل الذمة، جزءان، مطبعة جامعة دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.

☐ ابن كثير (اسماعيل بن عمر) (ت ٧٧٤هـ)
البداية والنهاية في التاريخ، الجزء السادس، القاهرة.

☐ ابن الكلبي (هشام بن محمد بن السائب)
جمهرة النسب، الجزء الأول، مخطوطة برقم /٣٨٢/ في مركز الوثائق والتوثيق، الجامعة الأردنية.

☐ الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) كتاب الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م.

☐ ابن ماجة (ت ٢٧٣هـ)
السنن، القاهرة، ١٣١٣.

☐ ابن ماكول (ت ٤٧٥هـ، ١٠٨٢م)
الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، ٧ أجزاء، الطبعة الثانية، بيروت.

☐ مالك بن أنس، **المدونة**، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٣٢٤هـ.

☐ المالكي (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي)
رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، نشر حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥١م.

☐ الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد حبيب البصرى البغدادى) (ت ٤٥٠هـ):
١ ــ **الأحكام السلطانية**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٧٣م.
٢ ــ **أدب القاضي**، تحقيق محي الدين هلال السرحان، بغداد، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

☐ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) (ت ١٨٥هـ)
الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت.

☐ المسعودى (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي) (ت ٣٤٦هـ):
١ ــ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٤ أجزاء، دار الأندلس.
٢ ــ **التنبيه والأشراف**، تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوى، مكتبة المثنى، بغداد.

☐ ابن مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب) (ت ٤٢١هـ).

كتاب تجارب الأمم، الجزء الخامس، مطبعة التمدن الصناعية بمصر، القاهرة، ١٣٣٢ هـ.

- مصعب الزبيري (أبو عبد الله مصعب بن عبد الله) (ت ٢٣٦ هـ)
نسب قريش، تحقيق أ. ليفي بروفنسال.
- المقدسي (شمس الدين) (ت ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م)
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تعليق غازي طليمات، طبعة ١٩٨٠ م.
- المقرى التلمساني (أحمد بن محمد)
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار بيروت صادر، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م.
- المقريزي (أبو العباس أحمد بن علي) (ت ٨٤٥ هـ):

١ ــ **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ثلاثة أجزاء دار التحرير للطبع والنشر، عن طبعة بولاق، ١٢٧٠ هـ.

٢ ــ **البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب**، القاهرة، ١٣٥٦ هـ.

- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م.
- مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري)
أخبار العباس وولده، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري، والدكتور عبد الجبار المطلبي، بيروت ١٩٧١ م.
- مؤلف مجهول، **العيون والحدائق في أخبار الحقائق** (من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم) مكتبة المثنى، بغداد.
- مؤلف مجهول، **تاريخ الخلفاء**، بيروت ١٩٧١.
- ميخائيل السمعاني، **سيرة يوحنا الدمشقي**، مطبعة القديس بولس، لبنان، ١٩٠٢ م
- النابغة الذبياني، **الديوان**، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار بيروت صادر.
- نصر بن مزاحم، **وقعة صفين**، القاهرة، ١٣٦٥ هـ.
- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) (ت ٧٣٣ هـ) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، الجزء الحادي والعشرون، تحقيق محمد علي البجاوي، الجزء الخامس والسادس، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.
- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري) (ت ٢١٣ هـ)
السيرة النبوية، ٤ أجزاء، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥.
- أبو هلال العسكري، **الأوائل**، جزءان، تحقيق محمد المصري، وليد قصاب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، إحياء التراث العربي.
- الهمداني (الحسن بن أحمد بن يعقوب)
صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الاكوع الحوالي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

☐ الواقدي (أبو عبد الله محمد بن عمر)
فتوح الشام، جزءان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
☐ ابن الوردى (عمر بن مظفر)
تاريخ ابن الوردى، النجف ١٩٦٩ م.
☐ وكيع (محمد بن خلف بن حيان)
أخبار القضاة، جزءان، تعليق عبد العزيز مصطفى المراغي، الطبعة الأولى، ١٣٦٦ هـ/١٩٤٧ م.
☐ ياقوت الحموى، **معجم البلدان**، خمسة أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م.
☐ يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣ هـ)
كتاب الخراج، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٣٤٧ هـ.
☐ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب):
١ ــ **تاريخ اليعقوبي**، جزءان، دار صادر، بيروت ١٣٧٩ هـ/١٩٦٠ م.
٢ ــ **كتاب البلدان**، ليدن، ١٨٩١ م.
☐ أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم)
كتاب الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٦ هـ.
الآثار، القاهرة، ١٣٥٥ هـ.

★ المراجع العربية والمترجمة

☐ د . ابراهيم أحمد العدوى :

١ ــ **الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية**، مكتبة النهضة، مصر، ١٣٧٠ هـ/١٩٥١ م.

٢ ــ **الأساطيل العربية في البحر المتوسط**، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٥٧ .

☐ د . احسان صدقي العمد، **الحجاج بن يوسف الثقفي**، بيروت ١٩٧٣ م .

☐ د . احسان النص، **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**، منشورات، دار اليقظة العربية، بيروت .

☐ أحمد أمين، **فجر الإسلام**، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٦٩ م .

☐ د . أحمد بدر :

١ ــ **دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة**، الطبعة الثانية، ١٩٧٢ م .

٢ ــ **تاريخ المغرب والأندلس**، دمشق، ١٩٨٠ .

٣ ــ **التنظيم العسكري عند العرب المسلمين**، بحث في مجلة دراسات تاريخية، العدد الرابع، ١٩٨١ م .

☐ د . أحمد شفيق، **الرق في الإسلام**، تعريب أحمد زكي، المطبعة الأميرية، طبعة أولى، ١٣٠٩ هـ .

☐ د . أحمد مختار العبادى، د . السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام**، طبعة ١٩٧٢ م .

☐ آدم ميتز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، ١٩٤٠ م .

☐ أنستاس الكرملي، **النقود العربية وعلم النميات**، طبعة ١٩٢٩ م .

- بتلر، **فتح العرب لمصر**، ترجمة محمد فريد أبو حديد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٥١ هـ/١٩٣٣ م.
- بلياييف، **العرب والإسلام والخلافة العربية**. الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٣ م.
- ترتون، **أهل الذمة في الإسلام**، ترجمة وتعليق الدكتور حسن حبشي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧ م.
- جواتياين، س. د. Goiti Yayen **قداسة بيت المقدس وفلسطين في صدر الإسلام**، تعريب الدكتور عطية القوصي، وكالة المطبوعات.
- جواد علي، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع ١٣٧٤ هـ/١٩٥٤ م ــ الجزء السادس، ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م.
- جورج فضلو حوراني، **العرب والملاحة في المحيط الهندي**، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، مراجعة الدكتور يحيى خشاب، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة.
- جون باجوت، **الفتوحات العربية الكبرى**، ترجمة خيرى حماد، بيروت.
- حبيب الزيات:
  ١ ــ **الديارات النصرانية في الدولة الإسلامية**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٨ م.
  ٢ ــ **سمات النصارى واليهود في الإسلام**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٠ م.
- حسام السامرائي، **المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية**، ١٩٧١ م.
- حسين مولوى، **الإدارة العربية**، ترجمة ابراهيم أحمد العدوى، ١٩٥٨ م.
- الخضري، **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية**، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٤٨ هـ/١٩٣٠ م.
- دوسو، **العرب في سورية قبل الإسلام**، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، مراجعة محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩.
- د. رجاء الدويدرى، **جغرافية سورية والوطن العربي**، مطبعة طربين، دمشق، ١٩٨١ م.

- الزركلي. **الأعلام**، أحد عشر جزءا، ١٩٧٠ م.
- ستيفن رونسيمان، Steven Runciman، **الحضارة البيزنطية**، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١ م.
- سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، دار المعارف، مصر.
- سعيد الأفغاني، **في أصول النحو**، دمشق، ١٣٧٠ هـ/١٩٥١ م.
- شكرى فيصل، **المجتمعات الإسلامية**، دار العلم للملايين، بيروت.
- شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣ م.

☐ صالح أحمد العلي، **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩م.

☐ صلاح الدين البحيرى، **جغرافية الأردن**، عمان، ١٩٧٣م.

☐ الطحاوى، **مشكل الآثار**، مطبعة دار المعارف النظامية في الهند، حيدر أباد، الطبعة الأولى، ١٣٣٣هـ.

☐ ظافر القاسمي:

١ ــ **نظام الحكم في الشريعة والإسلام**، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٢ ــ **نظام الحكم في الشريعة والإسلام، السلطة القضائية**، دار النفائس، بيروت، ١٣٩٨هـ.

☐ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، **التراتيب الإدارية**، فاس، ١٣٤٩هـ.

☐ عبد الرحمن زيدان، **كتاب العز والصولة في معالم نظم الدولة**، الرباط، ١٩٦٢م.

☐ عبد السلام محمد هارون، **الألف المختارة من صحيح البخارى**، بيروت ١٩٧٩م.

☐ د. عبد العزيز الدورى:

١ ــ **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**، بيروت ١٩٦٩.

٢ ــ **العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام**، بحث ألقي في المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، جامعة الأردن، ١٩٧٤م.

٣ ــ **نظام الضرائب في صدر الإسلام**، ملاحظات وتقييم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية، بدمشق، الجزء الثاني.

☐ عبد العزيز فهمي، **مدونة جستنيان في الفقه الروماني** (ترجمة) دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٦م.

☐ عبد القادر بدران، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير للامام الحافظ** المؤرخ علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دار المسيرة، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

☐ د. عدنان البني، **تدمر والتدمريون**، رسالة دكتوراة منسوخة، دمشق، ١٩٧٧م.

☐ ابن العربي، **أحكام القرآن**، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

☐ علي أحمد الجرجاوى، **حكمة التشريع وفلسفته**، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٣٨م.

☐ علي حسني الخربطلي، **تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي**، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م.

☐ عمر رضا كحالة، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، بيروت، لبنان.

☐ د. فاروق عمر، **طبيعة الدعوة العباسية**، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

☐ فان فلوتن، **السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية**، ترجمة حسن ابراهيم حسن،

محمد زكي ابراهيم، **الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٥ م.**

- فتحي عثمان، **الحدود الإسلامية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري**، الكتاب الأول، الدار القومية للطباعة والنشر.
- فلهوزن، **تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية**، ترجمة محمد عبد أبو ريدة.
- فنسنك، **مفتاح كنوز السنة**، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصر، ١٩٣٤ م.

- فيليب حتى:

١ ــ **تاريخ سورية ولبنان**، ترجمة د. حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨ م.

٢ ــ **تاريخ العرب مطول**، ثلاثة أجزاء، ترجمة الدكتور جبرائيل جبور، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٥٢ م.

- د. فؤاد أحمد طوقان، **الحائر، بحث في القصور الأموية في البادية**، وزارة الثقافة والارشاد، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٩٧٩ م.
- د. محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩ م.
- محمد ضياء الدين الريس، **الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية**، الطبعة الثالثة دار المعارف، مصر، ١٩٦٩ م.
- محمد أبو الفرج العش، **النقود العربية الإسلامية**، مصدر وثائقي للتاريخ والفن، بحث ألقي في المؤتمر الدولي لبلاد الشام، الجامعة الأردنية، ١٩٧٤ م.
- د. محمد عبد الهادي شعيرة، **المرابطون في الثغور الإسلامية الرومية**، بحث في كتاب إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين.
- محمد كرد علي:

١ ــ **خطط الشام**، ٦ أجزاء، دمشق ١٩٢٦ م.

٢ ــ **الإسلام والحضارة العربية**، جزءان، القاهرة، ١٩٦٨ م.

٣ ــ **أمراء البيان**، دار الأمانة، بيروت، الطبعة الثالثة.

٤ ــ **غوطة دمشق**، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ــ الطبعة الثانية.

- محمد ياسين الحموي، **تاريخ الأسطول العربي**، ١٣٦٤ هـ/١٩٤٥ م.
- د. محمد يوسف موسى، **نظم الحكم في الإسلام**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤ م.

☐ مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين**، منشورات دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م.

☐ د. منير العجلاني، **عبقرية الإسلام في أصول الحكم**، دمشق، الطبعة الأولى.

☐ د. نبيه عاقل:

١ ــ **خلافة بني أمية**، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٧٥ م.

٢ ــ **الامبراطورية البيزنطية**، دمشق، ١٩٦٩ م.

☐ نجدة خماش، **الإدارة في العصر الأموي**، دار الفكر، دمشق ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م.

☐ د. نعمان محمد أمين طه، **جرير، حياته وشعره**، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر.

☐ نولدكه، **أمراء غسان من آل جفنة**، ترجمة الدكتور بندلي جوزى، والدكتور قسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣.

☐ يوسف الياس الدبس، **تاريخ سورية الدنيوى والديني**، الجزء الثاني، المجلد الرابع، بيروت، ١٨٩٩ م.

الجزء الثالث، المجلد الخامس، بيروت، ١٩٠٠ م.

* المصادر والمراجع الأجنبية

BIBLIOGRAPHY:

Arculfus, The Pilgrimage of Arculfus in the Holy Land about the year 670 A.D.
Translated and annotated by the Rev. James Ros. Macpherson, London, 1889.

Bell, Gertrud, Palace and Mosque at Ukhaidir, Oxford, The Clarendon Press, 1914.

Brown, A Literary History of Persia. London, 1959.

Buckler, F. W. Harun al-Rashid. Cambridge, 1927.

Bury, A History of the Later Roman Empire. London. 1889.

Caetani, L., Annali dell Islam, Milan 1904-1918, Vol. III, Vol. V.

Cocke, G.A., A Text Book of North Semetic Inscriptions Oxford, 1903.

Creswell, K.A.C.:

1. Early Muslim Architecture, Oxford, The Clarendon Press, 2nd Edition.

2. Fortification in Islam before 1250 A.D. From the Proceedings of the British Academy, 1952, Vol. XXXVII.

Dennette, Daniel, C., Conversion and the Poll-tax in Early Islam, Cambridge, 1950.

Diel, Ch., Etudes Sur L'Administration Byzantine dans L'Exarchat de Ravenne, Paris, 1888.

Duchesne, L. Autonomie Ecclesiastique, Eglises Séparees, 1896.
Gregory. J.W.., The Rift Valleys of East Africa, London, 1971.
Grohman, Allgemeine Einfuhrung in der Arabischen Papyri, Wien 1924.
Heyd, Histoire du Commerce du Levant, Leipsig, 1885.
Hill, George. The History of Cyprus, Vol. I. to the conquest by Richard Lion Heart, Cambridge University Press. 1940.
Hodgson, Marshal, G.S., The Venture of Islam, Conscience and History in a World of Civilization, The University of Chicago Press.
King. L. C. The Morphology of the Earth, New York, 1962.
Levy, Reubens, The Social Structure of Islam, 2nd Edition, Cambridge University Press.
Lewis, Archibald, R., Naval Power and Trade in the Mediterranean, A.D. 500-1100.
Lokkegaard, Frede, Islamic Taxation in the classical Period, Copenhagen, 1950.
Mclean Harper, George, Village Administration of the Roman Province of Syria, Princeton, 1908.
Michel Le Syrien, Chronique, Edition et Traduction de Y. B. Chabot. t. II.
Miles, The Earliest Arab Gold Coinage, 1967.
Omar Charles, K.B.E., A History of the Art of War in the Middle Ages, Vol. I, A.D. 378-1278- Burt Franklin, New York.
Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State, Tr. Joan Hussey, Oxford, 1956.
Pirenne, H., Mohammed & Charlemagne, New York, 1939.
Lane Pool, A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1925.

Le Strange:

1. Palestine Under the Moslems, Published for the Committee of the Palestine Exploration Fund 1890.

2. The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1980.

Theophanes, Bilderstreit und Arabersturm In Byzans, des 8 Jahrhundert 717-813 Aus der Welt Chronike des Theophanes, Ubersetzt, eingeleitet und erklart Von Leopold Breyer, Wien. 1957.

Thomas Bishop of Marga, (A.D. 840) The Historia Monastica, Edited from Syriac Manuscripts in the British Museum and other Libraries. By E.A. Wallis Budge, Vol. II. The English Translation, London, 1893.

Tritton, A. S., The Caliphs and their Non-Muslim Subjects, Oxford University Press, 1930.

Von Kremer, Kulture Geschtlisché Streifzug auf dem Gebeit des Islames, Calcutta, 1950.

Walker, A Catalogue of the Muhammaden Coins in the British Museum, Vol. II.

The Arab Byzantine and Post Reform Coins.

Washington, Irving, Lives of the Successors of Mohammet, Vol. II. London, 1850.

Wiet, Gaston, L'Egypte Musulman, Précis de L'Histoire d'Egypte, t.II.

Willibald, The Hode poricon of St. Willibald 754. A.D. Translated by the Rev. Conon Brownlow, M.A. London, 1891.

Articles:

Andreades, Andre, M., The Economic Life of the Byzantine Empire, Population, Agriculture, Industry, & Commerce, In Byzantium II. An Introdution to East Roman Cibilization ed. by Norman H. Baynes & H. St. B. Moss.

Cahen, Claude, Economy, Society, Institution, The Cambridge History of Islam, Vol. II. The Cambridge University Press.

Charanis, P., The Social Structure of the Later Roman Empire, in Byzantium, 1944-1945 XVII.

Ensslin, Wilhelm, The Emperor and Imprial Administration, in Byzantium X.

Grabar, Early Islamic Settlements in the Badyaht al-Sham, in Conference on Bilad al-Sham, Amman University of Jordan, April, 1974.

Lopez:

1. Silk Industry in the Byzantine Empire, in Speculum, 1945, XX.
2. Mohammed & Charlemagne, A Revision in Speculum, 1943, XVIII.

Sauvajet, Jean, Chateaux Omayyades de Syrie, Revue des Etudes Islamiques 1967 XXXV.

Vasiliev, A. A., Byzantium and Islam, in Byzantium XI.

Vernadsky, G., Sur L'origine de La Loi agraire, in Byzantium, 1925. IV.

Islamic Encyclopaedia, New Edition.
Encyclopaedia Britannica, 15th Edition.
The Modern Encyclopaedia, First Edition, 1961.

Abstract

The social and administrative conditons in al-sham (Syria) during the early Islamic period is the theme of this study; it commences with the definition of al-Sham, its historical and geographical boundaries during the period under study.

The first part deals with the different social classes and their part in administration, governing and stabilizing the rule of the omayyads, therefore, the first chapter is concerned with the peoples in al-Sham, before the conquest, the regions of their settlement and their attitude towards the conquest.

The second chapter discusses the new distribition of the peoples after the conquest, especially the Arabs, and discusses the factors that affected their settlement in the different regions (al-Ajnad).

The different social classes, their social position and their part in administration and governing, are discussed in chapter three.

The fourth and the fifth chapters deal with the part of the people of al-Sham in stabilizing the rule of the Umayyads in Syria, Iraq, and in Africa, the conquests they achieved, and the advantages they acquired.

The second part of this study is concerned with the administrative, fiscal and military systems.

In dealing with the administrative system, the administrative

divisions were discussed as well as the important officials, their duties and responsibities and the different state departments (Dawawin)-

Taxation, tax collection, and the measures that were carried Out by Caliph Omar, and then by the Omayyads, as Well as the coinage used and the striking of the first Arab gold coinage and its consequences are presented in detail in dealing with the fiscal system.

The elements of the Syrian army, leadership, and mobilization, means of defence and fortification, the organization of the Diwan and the Ata of the Muqetilah in al-Sham are dealt with in the last chaper.

The conclusions that I have come into are presented throughout the dissertation, amongst them are the following-

1- Al-Sham's position was unique, speaking from a social point of view, and the social problems that arose in Iraq were not felt so strongly in Syria, for most of the Byzantines and their mercenaries in the coastal and internal cities left Syria and followed Hercules to Asia Minor: the Christian Arabs in Syria before the conquest formed quite a Considerable proportion of the population, and when they adopted Islam they were not regarded as clients; but were socially regarded as the Moslem Arabs who joined the armies of the conquest; this could be deduced from the increase in the numbers of the Muqatilah in each region, and this increase of course was not due to migration only, but to the adoption of Islam by the Christian Arabs.

2- Most of the Arabs in al-Sham during the Omayyad period were of Yamanite or Guda'i origin, with the exception of the region of Qinnisrin; but while the Arabs formed the majority of the coastal cities of Jund Homs, the population of the coastal cities belonging to the Jund of Damascus were mostly

composed of Jews and persians, and because of the Caliph's tolerant and indulgent policy towards the Dhimmis, Christianity remained widely spread in Syria specially in Palestine.

3- The factors that defined the social position of the Moslem Arabs changed gradually in consequence of the political developments after the battles of Siffin and Marj-Rahit. The companions of the prophet, their sons, and the commanders of the conquest enjoyed the most distinguished position at first; but after the battle of Siffin and the support Mu'awiyah received from the southern tribes, who formed the majority of the Arabs in Syria, he had to change his policy and depend more and more on the notables of the tribes whether in governing the different regions of al-Sham or in commanding the armies sent against Byzantiun or against Armenia in the North. After the battle of Marj-Rahit, the highest position was that of the princes of the house of Marwan and the Omayyads in general, then came the notables of the tribes and of course all the true and loyal supporters of the Umayyads.

4- The Marwanid period showed an increase in depending on Arab governors sent from al-Sham to the two most important districts, Iraq and Egypt, and it showed also an inclination to depend more and more on the clients (al-Mawali) especially the freed slaves (Mawali al 'Itaqah) in the different departments of the state and in sending them as governors especially to Africa; but the dependence of the state on the Dhimmis in administration decreased at the end of the Omayyed period in al-Sham.

5- As al-Sham was the central district, the duties of the most important officials were somewhat different from those of the same officials in the other districts, and the state departments (dawawin) were greater in number and importance.

6- Although al-Sham was the first country conquered - yet the traditions concerning the treaties with the different cities show that the Arabs distinguished clearly from the very beginning between the poll-tax (al-jizyah) and the landtax (al-kharaj) and while the jizyah in Syria at the beginning was one dinar, Omar I changed it later to a graded tax of four dinars maximum for the well to do with reductions for the middle class and the poor, this seems to have taken place in the year 640 A.A. 20 A.H. forTheophanes mentions that in the thirtieth year of Heracules, Omar made a census of all the lands, man, animals and palms; but as the traditions concerning the kharaj land and the Sawafi lands are very few in comparison to those connected With Iraq. it was necessary to depend on them in order to clarify and illustrate the ones concerning Syria specially if there were hints allowing such comparisons, and an interpretation for the term Sulh and Unwah has been presented.

7- When Mu'awiyah became Caliph he made it clear that the different districts should particpate in sending the overflow of their income to the central treasury in Damascus (Bayt Mal al-Fay), this procedure was carried out by all the other Caliphs and traditions directly or indirectly allude to this fact except where Spain is concerned. The Arab tribes in Iraq in general and the tribes of al-Kufa in particular resented this procedure which aroused their wrath against the Omayyads and the people of al-Sham, who enjoyed a number of privi-liges denied to others, for example, the traditions do not mention extra taxes being collected from the people in Syria like the ones mentioned in Iraq and Egypt.

8- the important political and economic changes following the striking of the Arab gold coins have been discussed-

9- The Army of al-Sham was mainly composed of Arabs, and the Yamanites and Quda'i tribes formed the majority, it was natural that most of the Muqatilah were from these tribes in

addition to the Qaysites in Qinnisrin and al-Jazirah; but the Omayyads made use of all the man-power, so they used the Dhimmis in the frontier lines as well as the Mawali later on, for we read of Mawali troops during the Marwanid period; yet the leadership remained in the hands of the Arabs, the companions of the prophet, their sons, and the notables of the tribes during the sufyanid period, and the princes of the house of Omayya during the Marwanid period specially in leading the summer and winter expeditions (al-Sawa'if wal-Shawati).

The tribes and clans in al-Sham still formed the prominent parts in mobilization, even when when they were incorporated in larger organizations for military or fiscal purposes.